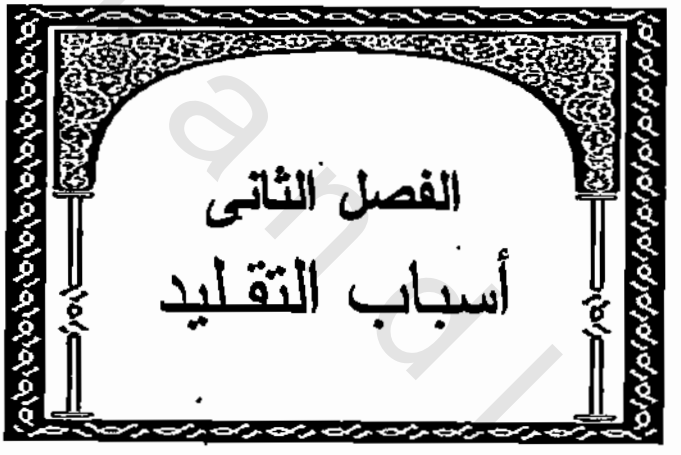

obeikandl.com

obeikandl.com

الفرع الأول
الغـزو الثقـافـى

صراع حضارى أو صراع دينى وتحد مصـيرى ، إشـكاليات ثقافية وتهديدات أمنية وغيرها، وكأننا قوم نعيش فى وسط غابة مظلمـة ليس فيها سوى الوحوش وما علينا إلا أن نستعد لهجوم محتمـل علينـا، هذه هى فلسفة العالم الغربى المتحضر، وتلك قوانينـه المسـتمدة مـن شريعة الغاب وهو ينشد الديموقراطية، وهذه نظرته التعسـفية الضـيقة وهو يدعى التقدمية، ولكن هذه أخلاقهم وفلسفتهم فى الحياة، فمـا هـو شأننا إزاء هذا الهجين من القيم والأخلاق؟ (١).

نعم السيادة فى الوقت الحاضر هى الحضـارة الغربيـة، بـات الغرب يبتكر المعجزات ويحاول أيضاً أن يبسط هيمنتـه الثقافيـة فـى مجال السلوك، ومن هنا كانت محاولات إلغاء الهويـة والذاتيـة للأمـة الإسلامية، وهى نظرية عرقية قديمة يجدد الغرب دماءهـا كـل حـين، ومؤداها تميز العقل الأوروبى عن العقل السامى العربى الذى هـو فـى زعمهم، غبى التكوين فضلاً عما يتسم به – فى زعمهم – بمعاداته للعلم والفلسفة(٢).

وفيما يلى نحاول أن نرصد الأسباب الحقيقية التى تدفع إلى محاكاة الغرب والتشبه بأهله ووأسفاه فى القشور دون اللباب..

---

(١) انظر د. محمد صالح العجيلى ، أصالة القيم الثقافية ، مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث عدد ٣٧.

(٢) راجع د. اسحق السعد، تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين.

١- حملات تغريب العرب، الثقافة الوافدة واختراق الآخر

بادئ ذى بدء هناك فرق بين العلم والثقافة، فمرحباً بكل علم وافد، ولكن لا مرحباً بالثقافة الوافدة، فاحتلال العقول يتبعه احتلال السلوك واختلاله، فتودع الأمة ثرائها ودينها وثقافتها لتقمص طباع الأمة الغازية، وهو أمر يخطط له بذكاء بالغ، فحينئذ تقارب سلوكياتنا مع أبناء الملة الأخرى ، ويتم الانسلاخ المنشود وهو بداية النهاية، حتى قيل بأن أهم التحديات التى نواجهها هو الغزو الثقافى القادم من الولايات المتحدة بالذات، والذى يصطدم مع مبادئ الأخلاق القويمة التى تتحلى بها الشعوب، ومسيرة الإرهاب الفكرى يمكن رصد مخططاتها ، والعولمة محتومة لا مفر منها، وفى النهاية شمولية تتأسس على الظلم وخلط الأوراق واختراق دول العالم الثالث ومحاولة التصرف فيها كملاك لها، ومن هنا كانت محاولة الاغتيال [1]، فثقافة الغرب فى المجالات الإنسانية تزحف إلينا فى ثوب قشيب يفتن اللب منتهزين فرصة بعثرة الأمة الإسلامية وتنازعها لنتحول إلى مستهلكين لما تصدره القريحة الأوروبية، وهى تدمر فى طريقها أكثر مما تفعله الجيوش.

يا ترى ما الذى حدى بالإنجليز والفرنسيين أن يأتوا إلى بلادنا عبر آلاف الأميال مدججين بالسلاح من كل نوع ؟ أهو تثقيفنا أم نهب ثرواتنا ؟

والإعصار الغربى اليوم يداهم أرجاء شاسعة من العالم الإسلامى فى صورة جديدة ، أصحاب الكياسة والثقافة والرياسة الذين يمثلون

---

(١) انظر مؤلف جون سيفيليا الإرهاب الفكرى ، منذ عام ١٩٤٥ حتى يومنا الأهرام فى ٢٠٠١/٩/٢٨م.

مواقع القدوة بيننا، وهم فى غمرة ساهون فهم مقبلون علـــى أوضـــاع المنصرين؛ بل إن هؤلاء شرذمة منهم يطاردون أوضـــاعنا الســـلوكية والتى ترعرعوا فى ظلالها وأوصلتهم إلى مراتب المجد، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، فالمناهج الدراسية الوافدة هى مترجمة أحيانـــاً بذكاء تخلع المسلم ولا تزرعه، فتنأى به بعيداً عن ثقافة أمته وتغـــرس فيه حب الانتماء لغيرها، وقد بدأت هذه الأفكار المغايرة تتعدى عقولنـــا إلى أعرافنا، وفى غير محمود السلوك.

فقد بدأ التعليم عندنا فى العصر الأخير بتشعيبة إلى مدنى ودينى ، تغدق الأموال على التعليم المدنى وليبقى التعليم الدينى فى وضع دونى ، وصارت مناهجنا تستشهد بأفكار "فرويد" وتترك ابن خلدون الذى خلده التاريخ، ونزلت النظريات الغريبة فى التربية إلى سوق الثقافة العربية.

وكانت خطة المستشرقين هى إفراغ القرآن والسنة من جوهرهما وزرع الشبهات حولهما، وذلك عن طريق دس وبث التفسيرات الخاطئة والاجتهادات الفاسدة فى قضايا مهمة مثل التعدد أو أزواج الرسول ﷺ أو الخلاف بين الصحابة وغير ذلك من الأمور. وواكب كـــل أولئـــك حركة ترجمة الأفكار اللادينية المسماة خطأ بالعلمانية، وخاصـــة بعـــد استمرار البعثات إلى أوروبا وعودة أبنائنا مبتهجين بأنهم صـــاروا ذو عقل غربى ، ويعضدهم نخبه من غير المسلمين ممن كان لهم باع فـــى الصحافة، وكانت النتيجة هى تهميش دين فهو بزعمهم تراث لا عقيدة.

كما ذاعت وشاعت عندنا دعوات تحرير المرأة المسلمة حتـــى ولو كان من زيها ولباسها وتخليها عن تقاليد الإسلام مع أن الراهبـــة لا تزال تتحلى به، ودعواهم أنه يحجب المرأة المسلمة عن نوال حقوقهـــا، دعواهم تلك داحضة.

أفكار تتخلل نسيج القيم عندنا لتكون أوهى من بيت العنكبوت، وحينئذ يفرح مرضى الغزو الفكرى الذين يريدون إقصاء الدين عن ساحته، فالثقافة الغربية بالذاتية التى أعلنت، من شأنها منح الحرية الواسعة التى وصلت إلى حد التفلت التى اتسمت بها، باتت تحتفى – فى سلبياتها – بنموذج فتى لعوب أو امرأة متهتكة أو نجم شاذ جنسياً فى عالم السينما بلا خجل ولا حياء من ذلك في المجتمع الغربى [1].

وفى تصوير صادق أمين لما يجول ويصول فى خاطر قادة الغرب يقول الأستاذ أحمد بهجت الصحفى المرموق تحت عنوان قضايا معاصرة خلاصة ما سجله الدكتور إبراهيم العاتى العراقى فى أحد مؤلفاته[2]: منذ بضعة قرون والحضارة الغربية الحديثة تتمدد خارج إطارها الجغرافى شرقاً وغرباً فتحتل الدول وتلتهم الثروات وتنهب الثقافات لصالح ثقافة واحدة، وقد تم كل ذلك ومازال يتم فى إطار من الصراع والتناحر، وكانت الغلبة فيه للطرف الغربى الأقوى عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، وحينما بدأت الدول الغربية احتلالها للعالم الإسلامى شكلت الهوية الثقافية والحضارية معتركاً حقيقياً للصراع بين الطرفين. وقد لاحظ الغرب أنه لا يمكن التمتع بثمار النصر العسكرى والهيمنة السياسية طويلاً، طالما بقيت الأمة معتصمة بدينها وثقافتها ومخزونها التراثى .

كان هذا كله يشكل منجماً للقوة الروحية الكامنة، والقادرة على تعبئة الشعوب ودفعها نحو المقاومة والمنازلة من جديد وهو ما حصل

---

(١) فهمى هويدى ، الأهرام ١٩٩٧/٩/٢٣م

(٢) أحمد بهجت ، الأهرام فى ٢٠٠٣/٢/٢٠م.

مراراً. ومن هنا دأبت الدول الاستعمارية على تحطيم ثقافات الشعوب وتفكيكها أو تذويبها، وكان للمسلمين فى ذلك حصة الأسد، وتم هذا باسم التقدم والتحديث واللحاق بركب الحضارة.

من هذه الزاوية طرحت العلاقة مع تراثنا بوجه عام، والفلسفى منه بوجه خاص إذ لم يكن التعامل معه مجايداً أو موضوعياً، وإنما خضع لأحكام مسبقة ونظريات جاهزة، أو بتطبيق مناهج لا تتفق والنسق المعرفى للعلوم الإسلامية، وقد شكل الاستشراق رأس الحربة فى هذا المشروع، الذي عمل على ربط الفكر العربى والإسلامى بمسارات الفكر القديم السابق على الإسلام، وبخاصة الإغريقى منه، هادفاً من وراء ذلك إلى نفى صفة الإبداع والأصالة عنه لأنه فى نظرهم لا يعدو أن يكون نسخة مكررة لما سبقه من علوم وأفكار.

٢- الغزو الثقافى وما يتلوه من غزو سلوكى :

الإسلام البديل لا الأصيل، تلك دعواهم، نعم تخطيط وعداء معلن تجاه أمتنا على دينها وأخلاقها وهويتها، ولم يكن هدف الغزو الفكرى أن يقرع ثقافة بثقافة أو فكر بفكر، وإنما كان تشويه الواقع الإسلامى وشن حرب شعواء على الهوية الإسلامية، سبيله الميسر هو أن يفتن المؤمنين والمؤمنات فى سلوكياتهم، حتى يصل السكين إلى العظم، ويصبح التناقض جلياً بين مبادئ الدين وواقع المسلمين كما نشاهد فى بلد كتركيا، وآخر شاهد على ذلك هو أن الغرب أحياناً يستغل الأمم المتحدة كمظلة شرعية لفرض أفكاره الإباحية على الشعوب الإسلامية [1].

---

(١) مؤتمر بكين المنعقد فى يونيو ٢٠٠٠م لإزالة جميع الحواجز الدينية والقيم الأخلاقية التى تبديها الوفود النسائية للمشاركة، انظر الإيمان ملحق الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٦/٩م.

والغزو الفكرى عادة يطرق أبواباً ثلاثة يحاول أن، يلـج منهـا وهى : **الإعلام والتعليم والقانون**، وحينئذ تسود ملامح الغربة، وتتسرب الشذوذات المسلكية الغربية فتختلط بحياتنا لتغتال شبابنا.

والغريب أن أوروبا احتفظت بنصرانيتها كتراث تاريخى ، ولكن مع ذلك فقد أدخل الأوروبيون نظمهـم ومفـاهيمهم التعليميـة للعـالم الإسلامى ، إما بوسائل القهر أو بوسائل أخـرى ، تقابلـت الأهـداف الاستعمارية مع التبشيرية فى المناهج التعليمية. وأنشأت الدول الغربية مدارس وجامعات لها فى قلب عالمنا، لتكون الأسوة الحسـنة معقـودة للنمط الأوروبى .

وهاكم تاريخ التعليم فى بلادنا شاهد ومشهود كيف هيمن النفوذ الأجنبى على أجهزة التعليم، ففتحـت أبوابنـا للإرسـاليات التبشـيرية والبعثات العلمانية من كل جنس غربى ، حتى يخرجوا أبناءنا غرباء فى اللغة والفكر والوجدان، ينتابهم شعور بالنقص من قوميتهم، فكانت عندنا مدارس الليسية واليوسوعيه الإنجيلية والأمريكية والفرير وسان جورج والتلمّود وفيكتوريا والقلب المقدس. "وأم الله" – نعوذ بالله – والراهبات، وهلم جرا. وزحزحت المدرسة الإسلامية من مكانتها التى كانت لهـا، وغدا أخلاط الخريجين من مدارس الفرنجة هم قـادة الحيـاة الفكريـة والاجتماعية والوجدانية للأمة الإسلامية.

إن الحملة التى يشنها الغرب على الإسلام، وإن كـان ترتـدى لباس الثقافة إلا أنها تضمر محاصرة الإسلام وتقطيع أوصاله حتـى لا يخرج عن أن يكون مجرد عقيدة دينية ينحصـر دورهـا فـى حـدود العبادات، ولا يكون لها قوة سياسية عالمية مـؤثرة أسـوة بالـديانات

الأخرى ، مثل المسيحية والتى لها كيان سياسى يتمثل فى دولة الفاتيكان، واليهودية والتى لها دولة تدافع عنها، ولوبى متعدد الأشكال يرعاها.

٣- الإرساليات

مدارس (الملابس القصيرة والمعلمات المتبرجات)

فالمدارس الأجنبية اليوم تنشئ أجيالاً مضطربة الفكر والعقيدة، يهتمون بلغتهم وآدابهم وسلوكهم، نعم تنمى فيهم المهارات ومواهب النبوغ، لكنها تترك لديهم استخفافاً بالفرائض وما حولها من آداب وقيم.

فتعليم الرقص عندهم والاختلاط مواد أساسية لا كمالية ، نعم من المحاسن إنها تعلم لغة نطل منها على حضارة أخرى ، لكن المساوئ هى إضعاف العقيدة والإسهام فى مسح الشخصية الوطنية. فالطلاب الذين يتخرجون يكون ولاؤهم للدولة التى يتبعها، فالغرب فى عقيدته الدينية شديد الاضطراب وكذلك أخلاقياته، فما بالك بمثقفيه الذين يرون أن العرى والاختلاط بل والعلاقات الجنسية بين الأولاد والبنات والعلاقات الشاذة بين أبناء الجنس الواحد حرية شخصية[1].

ولولا فضل الله علينا ورحمته لما زالت مثل هذه المتاريس ، فدورها وعددها قد تقلص الآن سيما فى بلد كمصر، وهى تحت سيطرة الدولة إلا أنها لا تزال تلعب دورها فى دول إسلامية أخرى من خلال المناهج والمفاهيم الغريبة والتقاليد المصاحبة التى تبثها فيخرج أجيالاً متخمة بالعلوم والمعارف إلا معارف دينها.

---

(١) د. مصطفى الشكعه، المسلمون ٢٣ مايو ١٩٩٧م

نعم للتواصل الثقافى بين الشعوب، ولكن لكل أمة خصوصـــيتها فى ثقافتها وسلوكها التى لا ينبغى أن ينال منها عدو نيلاً.

٤- الفضائيات وتغريب السلوكيات الإسلامية :

هذا هو عنوان غلاف مجلة الشباب فى مصر "من يحمى الشباب من سموم قناة الحرة الأمريكية ؟" [١].

استعمار فكرى فى ثوب عصرى قشيب وثقافـــات معاكســـة أو سلوكيات معادية (تعشش) فى العقول وتضعف الحس والوجدان وتصيبه الشعور بالفتور، وتخترق الحجب والآفاق والأدمغة فتتـــرك أصـــحابها أسرى للثقافات الغازية مع كونها فارغة المحتوى ، وتلك هى الصـــورة المثلى للغزو الثقافى على مستوى العصر، حيث تقـــتحم علـــى النـــاس فكرهم دون عراك فتقدم لهم سلوكيات غريبة على المألوف والمعروف، يقدمها أوضاع الخيانة الزوجية، وأوزار العشاق وتذويب الحواجز بـــين ما حرم ربكم عليكم وما أحل لكم من الطيبات.

يتسلل إلينا متخفياً أو متبجحاً الانحلال الغربى ، ينـــاوش حتـــى الطاعنين فى السن، يسحر أعين أبنائنـــا ويـــراود بناتنـــا مـــن خـــلال الموضات (والتقاليع) والأغانى المكشوفة وأوضاع توهن العزيمة وتربى الضعف فتأتى بالضربة القاضية فى أعز عزيز[٢].

وتعمل القنوات الغربية جهد إيمانها فى عرض الخلل فى ثـــوب قشيب أخاذ كإبراز مفاتن الجميلات والحسناوات وتفعيل فنون الإثـــارة الجنسية التى تقود الشباب للاغتصاب ولو كان علـــى الأبريـــاء مـــن

---

(١) مجلة الشباب فى أبريل ٢٠٠٤م العدد ٣٢١ .
(٢) مصطفى محمود، الإسلام السياسى ، الأهرام ١٩٩٢/٥/٢م

الأطفال، لأن مواد البث المباشر تصاغ فى قوالب تائهة عن قيم الأديان السماوية، ليصل الشباب إلى مرحلة اللامبالاة بالقيم، ويرسخ فى الأذهان أن المرأة الغربية ما تطورت إلا بعد أن خلعت رداءها وأن الحضارة ترك الحجاب[1].

والمرأة المطلقة عندنا تقدم على أنها منبوذة ، بينما الغربية متحررة كنموذج لابد من تقليده، فتقدم على أنها بطلة نالت الإعجاب وحصدت جوائزه لإهدار الحياة وترك العفاف، وكم تعانى المرأة من الاضطهاد الذكرى فى ظل نظام القوامة الأسرية، ولا تكف الأفلام المستوردة عن الاستخفاف بالقضاء والقدر والملائكة بل تجعلهم موضع نكات، وأصبح الإعلام العربى فى غالبة مفتوناً بالصورة الغربية، وتسلقت حصوننا برامج تعرض لنا ثقافة سلوكية هابطة، تنضح بكل مظاهر التفسخ الأخلاقى على أعين الناس، والذى ينتقده علماء الغرب أنفسهم، والبعيد كل البعد عن التقدم العلمى ، أو محاسن الغرب وإيجابياته أغرقتنا فى التسلية والترفيه ولكن كم أبعدت المسلم عن دينه[2].

فهذا هو المسلسل الأمريكى الشهير (الجرئ والجميلات) يحض على الرذيلة والإنسلاخ من الفضيلة، ألف حلقة متتابعة كفيلة بأن تدمر جيلاً إسلامياً بأسره حيث يقوم الشخصية الأساسية فى المسلسل (ريدج) بالاجتراء والافتراء بدخول غرفة نوم أخيه وهتك عرضه فى فراشه، وأخرى تسمى (بروك) تعيش مع الشخصية الأساسية فى المسلسل دون

---

(١) المسلمون، غرة صفر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٧/٦/٦م

(٢) د.عبد الحليم عويس، مجلة القبس الكويتية، فى ٢٠٠١/٤/٢٣م.

زواج (ريدج) وهو المسمى بنظام اتخاذ الأخدان ، والنتيجة هى أطفال الحرام الذين يشعلون حروب الإنسانية فيما بعد، وفكر مدمر وشباب مطحون، على أنهم فى أمريكا لا يعرضون سوى المفيد من هذا المسلسل فقط ويصدرون لنا ما تدنى حتى نظل عاكفين على السفالة الجميلة.

وهاكم مسلسل طويل وعريض يسلب نصيباً من أعمارنا، ويقص علينا سيرة فاسق غربى داعر توفى ثم تقسم أمواله وفقاً لنظام الوصية فى الغرب، والغريب عن ديننا، ثم ينتهى الأمر بأيلولة ماله الممدود إلى عشيقته الغريبة عن أسرته، أو بأيلولة التركة إلى كلب كان يداعبه ويؤنسه.

برامج متقنه تخالف كل انتماء عرفناه لنتحول إلى أمه تقتات الرذائل السلوكية وتتام على شهادة الزور، وكم يستعدى الإعلام الغربى واقعنا فتراه يصور المسلم المعاصر بأنه إنسان عابث الوجه مقطب الجبين. ، كثيف اللحية يلبس العمامة على رأسه ويثير الرعب بقوله وعمله[1]، ويستغل خصوم الإسلام – ومنهم منتسبين لهذا الدين – وسائل الإعلام وتقنياته فى بث أفكار الغرب بما تحوى من أوزار بين قطاعات المسلمين، كما لو كنا ننتظر منهم أن نتعلم أفكارنا وأعرافنا. حيث يجد الناشئة أمامهم نماذج من الاختلاط الماجن الذى يقض مضاجعهم ويستحوذ على حواسهم وإعلانات جذابة مثيرة ورقصة تتبارى فيها أندية الليل والنهار، وأعانهم على ذلك سماسرة لهم يستوردون المباهج الخسيسة لتدمر المناهج التى عاشت عليها الأمة

(١) محمد الغزالى ، هذا ديننا، الشعب فى ١٩٩٣/٢/٢م

وتزعزعت، سيما بعدما زلزلت الحواجز الثقافية بين الشعوب وإنما ما نأباه هو التهكم على رسالات السماء والاصطدام بأحاسيس المسلمين، الصادقين، وذهاب شبابنا مبكراً وإن ظلوا في عالم الأحياء، ولا يمارى أحد في أن جهاز التلفاز هو إحدى الكبر ومنجزات العصر وهو حقاً يقدم لنا الإمتاع والمؤانسة، ويسيح بنا في أرجاء المعمورة ليطلعنا على أحوال الشعوب ونحن في الغرفات آمنون ولكن إقحامه بسلبيات الغير ورذائلهم هو نوع من الافتئات على ثقافة الشعوب – تقدم إليهم تحت ستار البرامج الترفيهية التي تغتنمها الدوائر الغربية لتمرير قيمها وطرائق معيشتها للسيطرة على الكون، باعتبار كل ما ليس إغريقياً رومانياً متخلفاً ووحشياً، ويبقى الخطر كامناً في السطو على الأطفال وخيالهم، والقصة هنا للدكتور/ جمال أبو العزايم عالم الأمراض النفسية، حفيد من أحفاده طفل صغير شاهد فيلماً للسوبر مان وبعد انتهاء عرضه اندمج الطفل وتقمص شخصية البطل وقام من كرسيه ليفتح النافذة استعداداً للقفز منها إلى الهاوية كما فعل السوبر مان الوهمي ، ولولا أن تداركته العناية الإلهية لكان في عداد الموتى [1].

سلوكيات غازية تأتي بنياناً من القواعد .

٥- الدخول في دين الملك

سفينة ربان أم قرصان ؟ تلك العولمة الجامحة – هي مشروع استعماري عصري يضفي طلاءً من الذهب على الطين والقذر، اتجاه جامح ينفي الآخر ، يريد أن يذهب بكل القيم لفرض منظومة قيمية نابعة من الغرب وحده، لكي يتقمص الآخرون.

---

(١) مجلة النور ١٠ محرم ١٤١١ هـ

عبارات غامضة ذات مضامين يكثر الجدل حولها، باعثها ثقافات موجهة، وصراعات خفية فى الكواليس تدور هناك (ليتسيد) الغرب عن طريق محاولات التذويب لكل أمة هشة عارية عن التاريخ والمجد والحضارة. وإخراجنا بالذات عن ملتنا بدعاوى باطلة شاركنا فى حيثياتها أحياناً بالصمت والجمود، وأحياناً أخرى عن طريق نفر من مبدعينا العابثين برصيدنا الحضارى وموروثاتنا.

وباختصار هى ترنو إلى إعادة صياغة الإنسان المعاصر وفق مقاسات غربية بحيث يكون عبداً لها، ولو خلت من أى مضمون أخلاقى ، هى اتجاه خسيس أو ورم خبيث يريد أن يدمر الفوارق بين الأجناس حتى بين الذكور والإناث، وكل مورث ثقافى ، مع أن الأمة لا تستطيع بدون ثقافتها أن يكتب لها البقاء، وباختصار هى وسيلة لإلغاء الهوية وذاتيتنا الإسلامية النقية.

• لنعلم جيداً أن العلم لا وطن له فهو مشاع بين الدول، كالطب والهندسة، وهو لذلك يجتاز كل الحدود، أما الثقافة فهى متصلة بالكيان الإنسانى للإنسان، وتتبع من عقيدته وتاريخه ولسانه وبنيانه الروحى . ومن ثم تكون الهوية الثقافية لأى شعب حصناً حصينا فى مواجهة العولمة الجاسمة، لأن أول ما تجتاح هو آداب القوم.

وكما تسعى العولمة لاجتياح ثقافة الشعوب تسعى سعياً حثيثاً لبث القيم الغربية عبر المؤتمرات الدولية، كما حدث فى مؤتمر المرأة فى بكين فى محاولة لبسط هيمنة الغرب على النظام العالمى بسلبياته وإعادة تشكيل العالم وفق منظومته، وكانت له دورة استثنائية فى نيويورك فى مطلع الألفية الثالثة المتمثلة فى التركيز المبالغ فيه على

القضايا التى تخص نساء العالم المتقدم مثل الصحة العقلية والإيدز والإجهاض وترتيب الأولويات وفقاً للرؤية الغربية، لفرض الممارسات الإباحية والتوغل فى الانحطاط الخلقى للتحرر من سلطان الدين والأخلاق، وكذلك أيضاً المؤتمر الدولى للسكان حيث هيمن الصهاينة على لجنة القيم لتجريدها من فكرة الدين تحت ستار عالمية القيم، ولكن من عرف النور لن يعود إلى الظلام[1].

أين تلك العولمة من عالمية الإسلام التى تقوم أصلاً على الاختيار لا القهر، والتى تهدف إلى سعادة البشر لا استلابهم وقهرهم.

نعم هى خطة عمل ملعونة الأهداف، وضعت للتدخل فى الشئون الداخلية لكل دولة صغيرة أو فقيرة، والهيمنة العالمية هو اسم جديد لمعنى قديم يحمل كل الأطماع إن لم تكن أحقاد.

هو الهجوم الأخير على الإسلام ، من قبل الغرب ممثلاً فى كبيرهم الذى علمهم ، تتسلل عبرها إلى قيمنا الحضارية الراسخة بوصفها قيماً إنسانية سامية .

فى الثقافة ، طمس الهوية الإسلامية حتى فى الطعام والشراب، وتضخيم الغرائز الحيوانية لدى الإنسان .

الاجتماعيات : تعرية بدن المرأة وأكاذيب عن حقوق المرأة وحقوق الإنسان، والعلاقة الزوجية والزواج والطلاق يجب أن يطولها التغيير.

الاقتصاد : الربا والفوائد.

العسكرية : التحريض على الشعوب واستخدام العنف قبلهم.

وأخيراً .. هى محاولة لجر العالم إلى منظومة يسيطر عليها نمط ثقافى واحد يهاجم غيره أو يفترسه.

---

(١) الأنباء الكويتية فى ١٩٩٨/١٢/٦م

الفرع الثانى
دورة الانبهار بالغرب
(لوثة الإعجاب)

منذ منتصف القرن العشرين بدأت الحضارة الغربية وكأنها النموذج المثالى الذى يجب على الجميع احتذاءه، إن عاجلاً أو أجلاً، فصار الناس يرتدون الجينز ويأكلون الهامبورجر ، ويشربون الكاكولا ويدخنون المارلبورو ويتحدثون الإنجليزية ويسكنون نفس البيوت [1] فقد اتخذ التحضر اتجاهات غالباً ما تكون منافية للأعراف والتقاليد العربية والقيم الدينية.

وجوهر البلاء يكمن فى الإعجاب بكل ما هو غربى وما يترتب عليه من عزل العقل العربى ، والانتقال من هزيمة إلى هزيمة، وتحول الدول العربية الإسلامية إلى دويلات تابعة، نعم الحضارة الغربية قد أوتيت رشدها وحاز الغرب كل أنواط التقدم التى تؤهله للصدارة على العالمين ، وهذا مما يكبر فى صدورنا، فإنسان العصر قد يسرت له السبل التى تجعله يعيش فى رغد، واستفاد العالم أجمع من تلك الحضارة مما دعا الكثيرين إلى قبول دعوات الالتحاق والتبنى ، وقد أصيبت أجيالنا بانبهار شديد متعدد الأشكال والدرجات، وأعانه على ذلك ما يعانيه من فراغ سياسى وثقافى متراكم متراكب ، مع شلل فى القدرة وخلل فى التفكير أحياناً ، مما يغرى أية قوة طامعة باجتياز حدودنا وتدنيس أممنا [2].

---

(١) د. مراد هوفمان، الإسلام كبديل ص ١٩.
(٢) فهمى هويدى ، ضعفنا غير عادى ، الأهرام فى ١٩٩٢/٤/١٤م.

ولا يجحد جاحد فى أن التجاوب الانفعالى مع الحضارة الغربية المادية كان له نفع كبير فى دولنا أدى إلى انقشاع سحابة الجمود والركود، وعرفنا من خلاله ما أسفر عنه العصر الحديث من أنظمة متطورة، وأصبحت الأخلاق الإنسانية موجودة فى أوروبا أكثر منها فى بلاد الإسلام، ولكن إلى هنا ينتهى الحديث عن الضوء المبهر للحضارة الغربية ، فعلى الرغم من أنها قد أبدعت فى مجال الكون المنظور وما تفرع عن ذلك من تقدم فى المعرفة، إلا أنها قد أنزلت القيم من عرشها، مما أدى إلى زعزعة الطباع الفردية وأمسى لأهل الحضارة شذوذات تحط من قدرها ، فخلف الواجهة البراقة تختبئ الثغرات والإغواء الاجتماعى والخلقى ، فهاكم البغاء وتفكك العائلة ونوادى العراة وتدهور أخلاق النساء وأولاد السفاح وظلم الشعوب المستضعفة قد عظم وتفاقم بسبب تباعدهم عن شريعة موسى وعيسى بن مريم .

فهذا الانبهار يجب ألا يخلط فيه الليل بضوء النهار فكل حضارة لها جانب مادى وهو التقدم العلمى وجانب معنوى وهو الأخلاقيات والسلوكيات، فالأول علوا فيه علواً كبيراً، أما الثانى فهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . أعراف ممدوحة وسلوكيات غير محمودة. ويفرض الإنصاف علينا أن نفرق بين المحمود والمذموم من سلوكياتهم، حتى لا يذهب الانبهار بنا مبلغه، وفى الوقت ذاته لا نبخس الناس أشياءهم.

فالمرضى بالحماس الانفعالى يقولون أننا أفضل من الغرب لأنه عارى عن القيم، وهذا قول مردود، فهناك قيم هادئة والتزام كامل لمنهج كامل فى الأخلاق الاجتماعية جعلهم اليوم فى عليين، فهناك إيجابيات تحسب لأهل الغرب بل نحسدهم عليها ولم يشأ المقلدون عندنا أن يغبوا منها ، وها نحن أولاء على آثارها.

أولاً : السلوك الغربى المحمود

هم بالجملة أخلاقهم كديننا وأخلاقنا كدينهم، فكل صغير وكبير لأهل الغرب نحمده ولا نجحده ، وتلك باقة من ممدوح سلوكهم التى نحسدهم عليها فنحن لا نبخس الناس أشياءهم :

١- شعوب قارئة :

"اقرأ"، وكأنما أنزلت فى بلادهم أول كلمة فى القرآن الكريم، فالكتاب عندهم صاحب وأنيس وجليس، والمكتبة تكاد أن تكون جزءاً من أثاث المنزل الذى نفاخر به. بل هى فى تصميم المنزل قبل البناء. والهدية عندهم بالكتاب أمر ذائع وشائع على غرار الحلوى عندنا. ومن ثم فلا عجب أن يكون رصيدهم وزادهم من الثقافة والعلوم متخماً صعدوا به إلى عالم الكواكب والفضاء والسماوات المفتوحة وعلوا فى ذلك علواً كبيراً.

٢- علم العلماء :

العلماء هناك يرتفعون إلى عنان السماء على غرار الفنانين ولاعبى الكرة عندنا، الأسماع والأبصار تطربها صفوف الثقافة من كل درب، أسمع بهم وأبصر وكأنهم يطبقون من دوننا قول الله تعالى ﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، أما نحن فقد غفلنا عن أوضاع العلماء وقدرهم حتى قنعت أجيالنا بثقافة القيشار.

٣- عدل الحكام :

فى أغلب الشعوب الأوروبية – سيما بلاد الرأسمالية الغربية فكأنهم أحفاد عمر بن الخطاب فى هذا العصر – تجد العدل عندهم

شرعة ومنهاجاً ، واحترام الحاكم للمحكوم والتزام المحكوم بحكم القانون عرفاً معروفاً، والمحكومين مكرمين، يسأل الحاكم علا أم دنا عن أى جرم يرتكب فى حقهم كما كنا نسمع عن الحكام فى صدر الإسلام.

٤- الحفاوة برجال الدين ونسائه

فرجال الدين رفعوهم مكاناً عالياً، لا استهزاء بهم كما يفعل بهم عندنا فى العروض الفنية، فأمامهم يقسم أكابر الحكلم ورؤساء الدول اليمين الدستورية التى تؤهلهم لتولى مهام الدولة، وبغير ذلك لا يمارس ولى الأمر سلطته.

وإن تعجب فعجب أن يكون هذا التكريم موصولاً حتى بعد أن تألبت أوروبا على دينها، حتى صارت الكنيسة الآن مقصورة على العجزة أو كبار السن. ومما يحمد لهم أن الراهبة لا تزال موضوع ثناء وتبجيل، وهى معتصمة بزيها الذى يرتبط بدينها الدى يضاهى زى المسلمة، فليس من شأن التقدم العلمى تخلى المرأة عن لباسها، ولم تتهم بالرجعية من كاتب أو فيلسوف شغوف.

٥- الوفاء بالعهد :

إخلاف الوعد لا يقوم عليه كرام الخلق لأنه عمل قبيح ، ومنهج أهل الغرب دائماً الوفاء بالعهد، فالعهد عندهم كان مسئولاً، وكأنهم هم فى الصدر الأول من الإسلام صادقى الوعد، لا ناكثى العهد كدأب أهل الشرق فى عصرنا.

٦- العمل وإعلاء قيمته :

إتقان العمل دستور ثابت، لم تصلهم بعد آفاتنا من كلام كثير وعمل قليل، الجميع مقبلون على العمل وكأنهم يعلنون وحدهم قوله

تعالى : ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥]، فالعمل عندهم قيمة لا تدانيها قيمة ونحن لا نقدرها حق قدرها.

٧- التخطيط النابه :

يخططون للغد بحسابات دقيقة ومن ثم كانت الطاقات والإبداعات، وكأنهم يطبقون حقاً قول ربنا ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

٨- نجاح الإدارة والمحاسبة :

فمنهجهم فى الإدارة لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا، أولاً بأول تعالج أمراض البيروقراطية والمكاتب العصرية إن ظهرت ، فلا تتفشى كما تفشت فى بلادنا، ولحق بهذا ركب التقدم المحاسبة عن كل صغيرة وكبيرة لكل صغير وكبير، ومن ثم كانت نظمهم متألقة بجدارة.

٩- الليل للمنام والنهار للمعاش

اليوم عندهم هو اليوم الإسلامى يبدأ مع الفجر وينتهى من بعد صلاة العشاء، فالليل للمنام والنهار للمعاش وكأنهم يطبقون قول ربنا ﴿ومن آياته مناكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ [الروم:٢٣].

١٠- الوقت من ذهب :

الوقت عندهم يجلب المال والبهجة والمجد فمن ورائه مغانم كثيرة، ويقول ناصحو الأمة أن الإنسان لم يؤت بعد الهداية إلى الإسلام من نعمة سوى نعمة الوقت فهو سر تقدم الأمم إن أحسن استغلاله، والأوروبيون قاطبة ذلك اليوم ديدنهم رجالهم ونساؤهم، فعلت شعوبهم ودنت شعوبنا.

١١- حدائق ذات بهجة :

حب الطبيعة عندهم دستور غير مقنن، ويتأهبون جميعاً لأيام العطلات، فيذهبون إلى حدائق خلابة، حقاً ذات بهجة، يمرحون في الأرض، وحق لهم فقد كدوا وكدحوا وهم جادون أيضاً في الحفاظ عليها لا إتلافها وتدميرها كما يفعل سفهاؤنا من صغارنا وشبابنا بل وأمام أهليهم دون تحذير.

١٢- لكل شرعة ومنهاجاً :

سر من أسرار نبوغه منهاج لا يزيغ عنه في غدوه ورواحه صباحه ومسائه، بكرة وعشيا، حتى وقت الفراغ يخطط له بذكاء لكي يغيروا ما بأنفسهم، وذلك منهاج ديننا ولكن زاغت عنه القلوب والأبصار فصرنا مع الخوالف.

١٣- الاقتصاد الرشيد :

فالاقتصاد عندهم نصف المعيشة، لا يعرفون السرف أو التلف، فكأنهم سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﷺ **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾** [الفرقان:٦٧]، وهم جميعاً رجالاً ونساءً دأبهم وما أنا من المتكلفين، وعن الحفاوة بالضيف فلا تكلفي يا عائشة للضيف فتكرهيه.

١٤- مدنية مزدهرة :

قصور مشيدة وعمران متألق ومتأنق وحدائق غناء، وضح فيها علم العلماء، وأماكن ثرية وهنية للخلوة والنزهة، واللعب والمرح البرى ، يعودون بعده أكثر حيوية مما يبعث على الازدهار والابتكار.

١٥- سهولة الأداء ويسر الحياة :

فالمرافق العامة التى تخدم الخاصة والمجموع فى انسياب ، ويسر رائدها حكمة تقول "المعوقات اقتلعوها بالفؤوس".

١٦- استغلال الكون المنظور :

فمشروع النهضة عندهم على قدم وساق، لا تفتر همتهم ولا تذوب عزيمتهم فى النظر فى ملكوت السموات والأرض. فما وجدوا طريقاً إلا طرقوه، ولا دقيقاً إلا دقوه، وفتشوا عن أسراره التى أودعها الله فى الكون، استثماراً أمثل للموارد، أنجب عندهم اقتصاداً متألقاً وعلماً نافعاً ومجداً باسقاً.

١٧- الشورى :

هى دستورهم وشأنهم فهم يحبون الناصحين، وكأنما أنزلت الشورى فى بلادهم ولهم، أما نحن فى عصرنا فأكثرنا للحق كارهون، ما أريكم إلا ما أرى .

١٨- الديموقراطية حقيقية لا ورقية :

أما فن التأييد والمعارضة فقد اتبعوا بإحسان ما لخصه أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- فى كلمتين " إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى " أى محاسبتى كحاكم وتوجيه سلوكى الخاطئ بالنصح الأمين إن كان، فكانت هناك حقاً شورى فلا ينفرد حاكم برأى .

وتجد الديمقراطية عندهم قائمة على أصولها، الفصل بين السلطات ، واحترام الحقوق والحريات والحرمات، فما تجد حاكماً تسول له نفسه الإمارة بالسوء أن يعتدى على ركن من الأركان، فيهدم حضارة باسقة ، أو يشوه تاريخاً ناصعاً، وقد تشدقت بعض نظم الاشتراكية

بالديموقراطية فكانت مجرد قولهم بأفواههم، فانهارت بهم لما ضاق الإنسان بالسجان، أما فى بلاد الشرق فصار الباحثون يتساءلون هل الحرية تراث للغرب وحده ؟

١٩- استقبال المضطهدين والمقهورين :

فكل من أخرجه قومه، يجد فى أرضهم مراغماً كثيراً وسعة، فكاكاً من الجبارين فهم يجيرون من استجار بهم.

٢٠- أمة واحدة:

معتدون بقوميتهم وكأنهم نهلوا من الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢]، حتى صاروا دولة واحدة وعملة واحدة مع أن قلوبهم شتى ، زلزلت الحواجز بينهم فأضحوا قوة ضاربة ونحن أحق بها وأهلها.

٢١- الرأى الآخر وأدب الحوار :

البحث عن الحقيقة متعتهم، وهم يؤمنون بأن نصف رأيك عند أخيك، ولذلك لا تضيق صدورهم بالرأى الآخر، بل هم يحثون عليه فلعل فيه شفاء من علل أو إصلاح لمسار، فقد يجدون فيه الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لعللهم.

٢٢- الأغنياء وفعل الخيرات :

نعم هم أساتذة فى الانتماء، وهم عضد للدولة على النماء، فالزائر لأوروبا وأمريكا يذهل عندما يعرف حجم المساعدات والتبرعات فى شتى المجالات سيما إنشاء الجامعات.

أما الموسرون عدنا فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك، سامحهم الله قد تطاولوا فى البنيان، ولكنهم عن فعل الخيرات ساهون، ورغم أن

ثرواتهم من دم الكادحين، واجتمعت الأضداد، فهم أغنياء فى دول الفقراء.

٢٣- منهج الإسلام بالجملة :

فباختصار شديد تجد عندهم منهج الإسلام حقاً، فالنظافة ناموس الجميع، والأصل سداد الضرائب والتهرب استثناء، لإثراء الخزانة العامة بحقوقها. عدم التكلف دأبهم، والبساطة فى الأثاث والمظهر تجدها عندهم، والتجارة تجارة لن تبور، والاقتصاد فى كل الأمور، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم كأثير للثقافة الشاملة.

فكل ما تجده عندنا فى الكتاب مسطوراً من نظم قيمة وقيم وإيجابيات وفضائل واعتداد بكرامة الإنسان وإعطاء كل ذى حق حقه وسيادة الأخلاق الاجتماعية والثروة العلمية والمنهج التجريبى ، وكل أولئك هى بضاعتنا ياليتها ترد إلينا. أما نحن فقد فرطنا فى الكتاب، فهل نستحق العتاب أم العقاب، نعم إنها قصة نجاح هناك وتألق وتأنق بفضل التمسك بما جاء به منهج الإسلام ولكن لا يشعرون.

ثانياً : سلوكيات لا مرحباً بها

(مساوئ السلوك الغربى)

أ- حضارة بين السماحة والإباحة :

هل هم يستنكرون الزنا واللواط وكشف العورات ؟ فلا تثريب عليهم اليوم أن ينتشر خبر فلانة المرموقة التى أنجبت سفاحاً، وأنها قررت أن تنخلع عن زوجها، فالتمتع بالحرية الشخصية قد واصل مسيرته وعطاءه الميمون حتى صار الجنس بضاعة مزجاة، وتجارة لن تبور، أولاد الحرام آلاف مؤلفة.

وهكذا تنتقل حضارة الغرب رويداً رويداً من وادى التقدم العلمى وما جبل عليه الغرب من السماحة التى تخلقها الحضارة إلى رحاب مجتمع جديد سيما فى مجال الأباحية والتى كانت دائماً معول هدم للحضارات [1].

ولا يجحد جاحد هناك معايب السلوك الغربى سيما أصحاب الفكر والقلم، أقلها أنها جرأت الناس على الله فجعلتهم يستبيحون الأعراض، وليس لبلادهم عاصم أو ناصح أمين يحرم عليهم الخبائث، حتى.وصل التردى إلى نوادى العراة، فبدت لهم سوءاتهم، ففى مسارات الحضارات هناك خيط رفيع يفصل بين قمة النهضة وبداية الهبوط ، وهو خيط لا تميزه العين فى الوقت المناسب لتداخل عوامل البناء فى عوامل الفناء.

هل يقول قائل من عشاق الغرب أن الأخلاق تتقدم تقدماً متوازياً مع التقدم التكنولوجى .

وجه مضئ ووجه معتم :

حقاً إن الحضارة الغربية قد بلغت أوج مجدها، تقدم فى العلوم والمعارف وابتكارات لا تعد، أراحت البشرية من عناء كبير، ولكن حضارة أحاطت بها خطاياها ، من سلوكيات يمكن أن تدمر كل شئ، ومن هنا كانت الموبقات التى ولدت فى أحضان المعجزات كما ترعرعت فى كنفها الفاشية والشيوعية بأخطارها، والرأسمالية بآلامها والاستعمار بأنيابه وضروسه، فكانت حضارة الاستكبار والنهب والقهر

---

(١) د. حسن الشرقاوى ، المسلمون علماء وحكماء ص ١٢٧.

وامتصاص جهد الغير المستضعفين فى الأرض، نعم لقد صعد الغرب إلى الفضاء ومشى على سطح القمر ولكن هناك فى الوقت ذاته قطع الغيار البشرية تجارة لن تبور، وعصابات المافيا التى تفتعل حوادث الصدام بعد نتصف الليل ثم تمزق الضحايا الأبرياء إرباً، وتعبأ الأكباد والكلاوى والقلوب فى أكياس من الثلج ثم تشحن بالطائرات لتزرع فى أجساد أخرى ولا يسألون من أين[1].

حقائق مرة يعانى منها الغرب :

الطلاق هو معضلة المجتمع الغربى الأولى ، وأخس ما فيه أنه يؤدى إلى تقسيم مال الرجل عند الطلاق، وهو ما يؤدى به إلى الارتباط بعيداً عن الزواج. ومن إفلاس الأسرة إلى ظهور التفسخ الأخلاقى غداة إطلاق العنان للحريات والملذات بلا ضوابط وهذا ما يتلوه شاهد منهم، فها هو الكاتب الأمريكى الشهير "أندرو شابيروا" يقول فالعائلة التقليدية التى يعمل فيها الأب عائلاً ويسودها الهناء العائلى قد بدأت تضمحل حتى توارت بالحجاب سيما فى أمريكا، طلقات الرصاص فى الليل البهيم وأحياناً والناس ضحى تروع الآمنين وتصيبهم بالخوف والفزع والشلل، فالديموقراطية التى تبهر أعين الناس ينتابها من الداخل تسوس فى العظام بعدما فشلت فى إيجاد مجتمع آمن لشعبها، فالجريمة اليوم تحتل مكان الصدارة مع أنها أغنى وأعتى الدول.

والغربيون اليوم رجالاً كثيراً ونساءً يعانون من فقدان التوازن النفسى ، فكان القلق والملل والاكتئاب والشعور بالغربة النفسية، بالإضافة إلى ما يشيع فى نوادى الشواذ فى أمريكا وحدها .

---

(١) مصطفى محمود ، دولة الظلم ساعة، الأهرام ١٩٩٢/٩/١٩م

ربع نساء أمريكا يتعرضون للعنف والعنف المثار بل يتعرض له الرجال أيضاً [1].

وانعدام الثقة فى قيم المجتمع الغربى وانعدام الترابط ظاهرة يتفاقم خطرها ومجالها سيما بعد أن تولى الدين عندهم إلى الظل، حتى أن أمريكا صارت تسمى ذات القناعين[2].

نعم هم مغمورون بحضارة زاهرة تحير الألباب ورخاء تهفوا إليه النفوس، ولكن الانصراف عن الدين قد أصبح من لوازمها، فعلى الرغم من وجود قطاعات عريضة محافظة، إلا أن القيم الدينية لم تعد هى الملهم لتصرفات الجماهير، وقد نلتمس الأعذار بسبب التاريخ الغابر للصراع المرير بين العلم والكنيسة فى أوروبا، فضاقوا ذرعاً بدينهم ويئسوا منه.

إنها فلسفات الوجودية والعدمية من الأيدولوجيات الهدامة التى أدت إلى أفول الجانب الروحى ، ومن ثم فلا عجب أن يبسطوا أيديهم بالسوء إلى الشعوب المستضعفة لنهب خيراتها ونكب اقتصادها وتفتيت قواها.

وفيما يلى تفصيل ما أجملناه، نستعرض قبساً من الشذوذات التى أفرزتها المدنية الغربية :

وقبل استعراضنا لتلك المعايب السلوكية نقول: إن أهل الغرب ليسوا ملة واحدة، فمنهم أمة مقتصدة وكثير منهم أصحاب سلوك سوى

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٠/٧/١٧م

(٢) د. حسان حتحوت، العربى رجب ١٣٩٦هـ ، يوليو سنة ١٩٧٦م.

محمود نتشدق به وكثير منهم أيضاً ساء ما يعملون ، وهناك عقلاء فى الغرب منصفون ينتقدون أنفسهم على ما سنرى فى الفصل الأخير، كما أن أهل المعايب السلوكية لهم عذرهم، فالمتهم الحقيقى هو غياب العطش الروحى ، أو الفراغ العقائدى وفى ذلك كتب تملأ مكتبات . وواأسفاه فإن التقليد عندنا غالباً ما يكون لهذه السلبيات وهو ما دفعنا إلى أن نتطـرق إليها قبل أن تتسرب إلينا إن لم تكن قد داهمتنا.

١ – التمرد على الفطرة:

فطرة الله التى فطر الناس عليها تميز بين الطيب والخبيث، فإذا انضاف إليها ما أوتى النبيون من ربهم أنتجت سلوكاً سوياً وعواطـف متزنة لا تعرف الجموح ولا الجنوح، فماذا قدمت حضارة الغرب لهـم فى هذا المجال؟.

• الأزياء عندهم تبدلت إلى عرى وإثارة، والرسم تحول إلى عبث لا معقول وفرض أشكال وألوان ، والغناء صار استعراضـاً ورقصـاً وهزاً (وشقلبة) وصراخاً وعويلاً، وموسيقى نحاسية تصك الآذان، كما تحولت السينما إلى جنس وعنف وقصص للجريمة بل وتعليمها، حتـى العلم تحول من مجراه الطبيعى الرائق إلى إنتاج أدوات وقاذفات للقنابل للاتجار أو للسيطرة على الشعوب وقهرها، وباختصار شـديد تبـدلت السلوكيات وعلا فيها الرخيص ورخص الغالى .

٢ – المادة تغلب المودة، واللذة والحياة الدنيا أسمى أمانيهم:

حبسوا أنفسهم فى سجن المادة وشردوا عن الصانع وجهلـوا أن الكون لم يخلق عبثا، هل هناك من يحض على طعام المسكين أو إكرام اليتيم ؟

الدنيا عندهم أكبر همهم ومبلغ علمهم ، وقوام الفكر لدى الغربيين هو المادة، فهى الحاسب الآلى فى تقييم الأفراد والشعوب، علمهم بالآخرة محدود، فما الذى أجاء بهم إلى هذه الدروب المظلمة ؟

لقد تسربت المادية إلى الحياة الزوجية والتى قوامها المودة والرحمة، فأتت بنياتهم من القواعد وغشيهم ما يسمى بالنظام المالى بين الزوجين على غرار الشركات ، فأصبح الزوجان شريكان فى شركة أكثر من كونهما فى غش الزوجية.

وفى تصوير صادق أمين لما أصبح عليه الأوروبى المادى يقول الأستاذ/ عبد الرحمن الكواكبى فى مؤلفه طبائع الاستبداد: الرجل الغربى مادى الحياة، قوى النفس، شديد المعاملة، حريص على الاستئثار، حريص على الانتقام، لم يبق عنده شئ من المبادئ العالية والعواطف الشريفة التى نقلتها له مسيحية الشرق، فالجرمانى مثلاً جاف الطبع يرى أن العضو الضعيف فى الحياة من البشر يستحق البتر، ويرى كل الفضيلة فى القوة، وكل القوة فى المال، فهو يحب العلم ولكن لأجل المال، ويحب المجد ولكن لأجل المال، واللاتينى منه مطبوع على العجب والطيش ويرى العقل فى الانطلاق، والحياة فى خلع الحياء والشرف فى الزينة واللباس، والعز فى التغلب على الناس.

التفكير الميكيافيللى :

وخلاصته أن الغاية تبرر الوسيلة أياً كانت، أما فى الإسلام فلا يقبل وصول إلى الحق بطريق الباطل، والحضارة العربية هنا تخالف المسيحية أو إن شئت فقل هى حضارة المسيخ الدجال لا المسيح بن مريم

وختاماً فقد صار قانون المودة فى القربى مهجوراً وأتت المادة على المودة. فالأنانية والبخل والتفكك كل أولئك قد صار عرضاً أو مرضاً يشيع بينهم، يورث أحسن الصفات التى تباعد بين الإنسان وعشيرته ويقطع أرحامه وذلك من مظاهر الفساد فى الأرض.

٣- الفراغ العقائدى والعطش الروحى :

إن الإيمان هو العاصم من النجاسة الفكرية، والذين ينتسبون إلى المسيح فى الغرب لا يعلمون من تعاليمه إلا ما شوه منها، الدنيا عندهم محور الحياة ، وعديمة الإله، مادام التقدم العلمى يقدم لهم "جنة المستهلك"، وانحرفت الفردية إلى نرجسية، والأخوة إلى الاجتماع على الحفلات الموسيقية الصاخبة، واستقلال الشخصية إلى فوضى أخلاقية والتسامح إلى استواء الخير والشر، والعشق إلى رياضة جنسية ، وبالجملة تأليه العقل [1].

ولله الحكمة، وهو بالغها، فكما حملت الثورة الصناعية بشائرها الأولى فى بذور الثقة المطلقة فى العقل. فإنها جلبت بذور قلق لا حدود له جارت على العقل والنفس معاً، فأصبحت حياة أهل الغرب قاطبة محوطة بالعطش الروحى ، عاجزة عن تقديم جرعات من الإيمان بالله إلى أهلها لتضمن لة التوازن النفسى ، فتملأ عليه حياته وتُخفف من آلامه وتجلب له السعادة، وتلك وظيفة الدين.

لقد غاب الوازع الدينى فى الغرب ونزلت القيم من عرشها، وذاب التكافل الأسرى ، وتغلب الإيثار وعم الاكتئاب، فبما إذن تبشرون؟.

---

(١) انظر : عبد الله الشباتة (مرجع سابق).

يشعر الإنسان الغربى اليوم بالجفاف ويعيش على المهدئات رغم التقدم العلمى الهائل، إن طبيعة خلق الإنسان من طين فهو ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٧-٩]، ولذلك فهناك من يصف الحضارة المعاصرة بأنها عرجاء، لأنها أدخلت فى الروع أن الجسد وما يتعلق به من رغبات وشهوات.جديرة بالاعتبار، أما الجانب الروحى أو الدينى فهو نوع من الخيالات والغيبيات التى لا تليق حتى بالمناقشات لبعدها عن الحقائق العلمية[١].

دور العبادة قباب زاهية و"تريات" مشعة وزخارف لا حصر لها، ذلك منهم ولا عجب، فهم ينظرون إليها على أنها متاحف لا أكثر، لقد ولوها أظهرهم كأماكن عبادة وأشاحوا وجوههم عنها كدور صلاة، لكنهم أقبلوا عليها كمبان جميلة فيها الكثير من تحف المعمار ، وجمال الذوق الهندسى ، وروعة التصميم، لقد أجاد فيها كل صانع صنعته من بناء وكهربائى ومزخرف؛ فيأتون ليشهدوا جمال الصنعة لا أكثر ولا أقل[٢].

٤- ديانات مزيفة ترتع تمجد العقل وحده:

نعم تظهر رؤى جديدة عندهم تتخبط فى الظلام، أفكار كذابة جذابة تمجد القتل الرحيم مثلاً للمريض عقلياً أو نفسياً ، كما تشيع اللواط لأنه يضمن عدم الإنجاب، وتروج لموانع الحمل خلاصاً من عواقب الفواحش وافحش الموبقات[٣].

---

(١) المسلمون د. محمد المهدى العدد ٣٨٦.
(٢) عبد الله الشبانة ، المرجع السابق.
(٣) القتل الرحيم : المسلمون العدد ٦٥١ـ ٢٥ يوليو ١٩٩٧م

كما تجد تعقيم المراهقين وصغار السن لمنحهم الحرية الجنسية، وبالجملة سلوكيات من الطين مطلية بالذهب وهلم جرا.

وفى روسيا فى أعقاب اندحار الشيوعية ظهرت أديان جديدة تتحدى القيم المألوفة، فكان اغتصاب الأطفال ، وتدفق المبشرون من كل فج عميق مستغلين موجة الانفتاح أمام كل من هب ودب. حتى صار يتعذر على دوائر الشرطة الوصول إلى المغارات السرية لهذه الجماعات، لأن ضحاياهم لا يأتون إلى الشرطة من فورهم فور الوقوع فى مخالبهم.

ولقد أدت قفزات العلوم التطبيقية إلى تعظيم بالغ للعقل وإكباره. وإعراض عن كل ما عداه مما جرد الدين من سلطانه التقليدى مع أنه مصدر السعادة لمن أراد حياة طيبة هانئة.

هل نرضخ لعقل الشاب أم عقل الشيخ، هل ننزل على عقل الرجل أم عقل المرأة، هل نحبذ عقل المثقف أم أنصاف المتعلمين ، عقل المدنى أمن الرجل العسكرى ، عقل السياسى المناور أم عقل المثقف المهذب، عقل يتحرى المصلحة الشخصية أم يتبغى المصلحة العامة، ومهما كان العقل رشيداً فإنه لن يملأ الفراغ العقائدى الذى خيم عليهم وسول لهم الكثير من تبريرات حتى للانتحار ، فاجتمعت هناك المعجزات مع الموبقات فى سوق الإنجازات ، ومن ثم كانت تلك السلوكيات التى لا مرحباً.

٥- مجافاة الإنسانية ، والثقافة القيمية أحياناً:

إن فى أمريكا نعيماً وملكاً كبيراً، والمدنية تحير الألباب ولكن لم أر الإنسان بقيمه وشيمه، التى تفرقه عن العوالم الأخرى .

الديموقراطية نظام محمود للحكم علا شأنهم فيها، ولكن كان فى معيتها ومعينها استئجار الأرحام وطلبات للشراء وبيع البويضات من نساء ذوات مواصفات معينة وأسعار مغرية، هذا عالم أسكتلندى يعلن عن استنساخ نعجة عن نعجة أخرى وإمكانية تطبيق ذلك على البشر، وهاكم امرأة ولدت حفيدها من بويضة من ابنتها العقيم وضعت أمها الولود، فعرضت الصحف للمولود بعد سنوات ثلاث من إنجاب الجدة لحفيدها[1].

مشاعر الأمومة صارت تتضارب والأطفال لا يعرفون لمن يكون الانتماء والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل:٧٨].

أى استخدام شيطانى للتقدم العلمى ؟، فليس بالعلم وحده يحيا الإنسان، تلك الأبحاث العلمية الهائلة العاملة فى مجال الوراثة والتى تواصل سيرها الحثيث فى إتلاف الجنس البشرى ، عن طريق وضع نقطة من قرد فى رحم امرأة من المعوزين ليروا عاقبة أمرهم، إنه العلم الذى يستعدى أبناء الإنسانية على بعضهم، نعوذ بالله من علم لا ينفع .

٦- حضارة تتاجر بالسلاح من أجل حصاد الأرواح :

فلقد حققت حضارة الغرب فى سنيها الأخيرة طفرة هائلة فى المعجزات، ولكن هل يصحبه تقدم نظير فى مجالات القيم، إن الاختراعات الحديثة قدمت رصيداً هائلاً لخدمة الإنسان على كوكب الأرض ولكن بصحبة ذخيرة فتاكة تفنى شعوباً بأسرها، الحروب

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٩٠/١٠/٢٦م

الجرثومية والميكروبية والنفايات الذرية التى تدمر كل شئ فى طريقها، ثقافة الإبادة الجماعية ما سبقكم بها أحد من العالمين.

وهنا يطل علينا الكاتب الغربى المشهور (جود) قائلاً "لقد وهبنا من العلم قوى لم يكن يحلم بها أجدادنا السابقون الأولون، ولكننا نستخدمها بعقول الأطفال أو المتوحشين، ولا يسد الثغرة إلا القيم الأخلاقية وأولاها العقيدة الدينية، وحينئذ تلتئم الثغرة بين العلم والأخلاق".

٧- التفكك الأسرى وانعدام الترابط :

إذا بلغ الأطفال منهم الحلم والفتاة سن البلوغ، فلا جناح عليها أن يتفرقا عن الأبوين، حيث الفلسفات الحديثة والثقافة العصرية تملى عليها، فلتذهب السلطة الأبوية أدراج الرياح وتتحلل الروابط العائلية المبنية على علاقة هشه، وهكذا نقضت الأسرة غزلها من بعد قوة أنكاساً، وقد لا يلتئم شمل الأسرة إلا لماماً فى المناسبات، والأعياد فهل نقلدهم فى شئ من ذلك؟.

تقدم علم الاجتماع فى الغرب تقدماً هائلاً كما يقول علماؤنا، فهل تقدمت أسرة الغرب؟ وهل الحياة الزوجية هناك فى مجدها وهنائها، أم هناك تصدع فى بنيانها بسبب التفكك الأسرى ؟ وانهماك المرأة المسكينة فى الحياة العملية، وما قد ينشأ عنها من علاقات جانبية عاطفية خارج أسوار الحياة الزوجية .

وأولو القربى بعضهم أولى بعض، فهل تفلح نظريات علم الاجتماع الغربى الحديث فى إيصال تيار المودة إليهم أم هيهات هيهات لما يوعدون؟!.

إن الترابط الأسرى هو من أسس التوازن النفسى ، فـدعاء الأم لأبنائها أغنى وأقنى من كنوز قارون، وأقرب نفعاً للأسرة من كل نفـع مادي ، فأين الهناء العائلى فى المجتمع الأمريكى أو الأوروبى .

فالمجتمعات الأوروبية قد غدت لا تعبأ كيف يعامل الولد أباه أو الزوجة زوجها طالما أن ذلك لا يؤدى إلى اضطراب فى المجتمـع أو ثورة على النظام ولا يعرقل سير المدنية، فـلا ضـير إذن أن تنقلـب النواميس الاجتماعية الأصيلة على أعقابها، أو أن يكون هناك قطيعة من ولد أو جفاء من زوج أو تجاهل لقرابة، وليت الأمر اقتصر على ذلـك بل إن بعض الأوروبيين قد أصبح يجد إيناسه فى العيش مع الكـلاب، بينما لا تجذبهم متعة المودة فى القربى .

وقد أدى الحرمان من دفء الأسرة – وفقـاً لإحصـاءات إدارة الصحة الفيدرالية الأمريكية – إلى إن هناك ما يفوق المليون فتى وفتاة ١٥-١٩ سنة، يعيشون منغمسين فى مجتمعـات الرذيلـة والجريمـة، ضحايا أسر وبيوت دمرها التفكك الأسرى وحوادث الطـلاق والقمـار والمجلات الخليعة التى تقص الجريمة وتعرض أشكال العنف وانحـلال الأسرة وتضعضع الحياء.

فلم تعد هناك أسرة بالمعنى المفهوم بقدر ما بقـى نـوع مـن الارتباط المعرض للانفصام فى أية لحظة بين رجل وامرأة [1].

ولم تقدم الحضارة المتألقة حداً للتناقضات الموجودة بين شرائح كثيرة من أبنائها، بل زادت مساحة الصراع وتفـاقم الاكتئـاب وزادت نسبة الانتحار، ورغم الرفاهية والترف المقيم لا يزال الغربـى يحلـم بالتوازن النفسى ، والذى أصبح كسراب بقيعة.

---

(١) عبد الله الشبانه المرجع السابق، ص ١٦٤.

٨- الانفصال الجسمانى أدهى وأمر :

فكم تعانى المرأة فى الغرب من أوضاع مؤلمة لعدم إباحة الطلاق حيث يفارق الزوجين بعضهما إلى أجل مسمى أو غير مسمى يصل إلى عدة سنين وهو أمر يجافى الفطرة ويفسد المرأة ويجرها إلى أوضاع متردية فى ديار التقدم، وهو ما حدا بالنساء فى أيرلندا فى الثمانينات إلى ربط أنفسهن فى سلاسل من حديد فى بوابات البرلمان أملاً فى صدور تشريع جديد يخلصهن من زواج فاشل، أو زوج بغيض بإباحة أبغض الحلال، حتى لا تظل فى عصمة أشباه الرجال تمسكه على هون، ومهما كانت كهانة الأباء والقساوسة فإنها لا تطفئ لوعتها، وصدق الله العظيم : ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ [النساء:١٢٩]، كم تتمتع المسلمة بأمان الشريعة الغراء فتحيا آمنة ومطمئنة يأتيها رزقها رغدا، فهناك حكم من أهله وحكم من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما، وإذا لم تفلح المساعى الحميدة، فإن يتفرقا يغنى الله كلاً من سعته.

ب- قبس من أخلاقيات المدنية المعاصرة:

وتتمثل فيما يلى

١- نشر الجوع :

قبائل فى أفريقيا وأوروبا يأتيها الموت من كل مكان بسبب مخاطر الجوع المحدقة بهم هم وأنعامهم. فمجموع ما تنفق أوروبا سنويا على الحيوانات الأليفة يفوق ميزانية دول كثيرة فى العالم الثالث. إعدام ملايين الأطنان من الحبوب والفواكه والخضروات للحفاظ على أسعارها عن التدنى ، ناهيك عن إدمان المشروبات الكحولية والتدخين، وما

يلقونه من أطعمة ومخلفات تكلف أموالاً لحرقها والتخلص منها، ملكوا زمامها بغير ضابط أخلاقى ولا إطار شرعى قدمها لهم الاحتلال والاستحلال. إن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ [فصلت:١٠].

٢- حضارة تكره التدين، (والمطاردة الجماعية لأوضاع المسلمين):

نعم إذا كان عندنا فى العصر الأخير فى بلاد المسلمين تدين يكره الحضارة وهم من يسمون (المتطرفين)، فإن الغرب بدوره صار يكره التدين، فالإنسان فى المجتمع الغربى فقد علاقته بالدين، وإذا كان هناك دين فهو متباعد عن شئون الحياة فقد ظهرت العلمانية بأدرانها.

والحضارة الغربية الحديثة رؤية مادية بحتة وليست مسيحية وهى نقطة قوتها وضعفها، المسيحية لا تشكل عندهم سوى بعض الرموز والديباجات فقط.

ناهيك عن الحروب التى تدور فى أفريقيا أو تدار لمصلحة الغرب وحده، فإن دم المسلم اليوم قد أضحى أرخص من دم الدجاجة، فالدولة الإسلامية اليوم كلها فى مرمى نيران الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، وهو ما لم يعرف التاريخ له مثيلاً، ليتحولوا إلى قناصين للشعوب الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م سفهاً بغير علم، انصياعا لسلالة القردة والخنازير ودأبهم فى إيقاد نار الحروب، والمواجهات الساخنة والمطاردة السافرة لكل من ينتسب إلى التيار الثقافى الإسلامىّ الرامى إلى إحياء الأمة وبعث نهضتها ومجدها.

وهذا كاتب أمريكى من أكابر مجرميها يطالب بهدم الكعبة المشرفة[1]، وذلك غداة تدمير مركز التجارة العالمى فى نيويورك وضرب البنتاجون فى سبتمبر ٢٠٠١م، مع أنهم لم يعثروا على دليل واحد يوجه إلى مسلم أو مسلمة، والأقليات المسلمة كم تكتوى بالنار فى بلاد الفرنجة مع أن رايات الحرية لا تزال خفاقة هناك ، وفى عاصمة النور حيث مبادئ الحرية والإخاء والمساواة، قامت الدنيا هناك ولم تقعد بسبب فتاتين مسلمتين ارتديتا غطاء للرأس مع رداء لا يكشف عن الساقين سيما فى أوقات الصقيع، فهبت الصحافة المبجلة الموصوفة بالديموقراطية وطائفة من الحكام أصروا واستكبروا استكباراً، ولولا القضاء الفرنسى المبجل الذى أيدهما بنصره. لا بل إن هذا يحدث داخل الديار الإسلامية، فقد فصلت مدرسة فرنسية تعمل فى الإسكندرية تلميذة مسلمة لأنها جاءت مرتدية الحجاب (شامبليون) بينما سمحت للتلميذات بارتداء البنطلونات القصيرة وصبغ شعورهم، وأباحت للمدرسين الرجال بوضع أقراط فى آذانهم بدعوى الحرية الشخصية، وبعد كل هذا نكسوا على رءوسهم وأصدروا قانوناً فى فرنسا بلد الحرية والإخاء والمساواة يحرم ارتداء الفتيات فى المدارس لغطاء الرأس.

وأخيراً فإن المخطط المريكى الغربى يسعى إلى توظيف الجماعات الدينية ضد الحكومات الوطنية ثم ضرب الاثنين معاً فى مرحلة لاحقة، مع التربص لتفتيت العالم الإسلامى وكما يقولون، من يدرى هل يكون رئيس الولايات المتحدة خليفة يوماً على المسلمين فى الأرض، وهناك محاولات جادة للتمييز العنصرى وكراهية للجاليات

---

(١) جريدة الأسبوع المصرية ٢٠٠١/١٠/١م.

الإسلامية فى عديد من الدول الأوروبية إعمالاً لمذهب "الإسلاموفوبيا" وهو معاداة الإسلام والمسلمين، ناهيك عن الفضيحة الأنجلو أمريكية والتى تحولت إلى حلف استعمارى لسرقة ثروات الشعوب العربية. وهو استعمار يضع الماكياج على وجهه ويبتكر موضات جديدة للقتل والسرقة الحضارية وما حدث فى العراق فى عام ٢٠٠٣م بعد طرد الطاغية صدام شيطان العرب [١] ليس منا ببعيد.

وأخيراً هذه شركة صهيونية بإيطاليا تنتج ورق التواليت وتصدره للعالم يحمل اسم الجلالة ، واسم رسول الله ﷺ، محاولة قذرة ممجوحة تستهدف تدنيس الأسماء المقدسة فى دورة المياه – وقد كشف أبناء الجالية الإسلامية تلك اللعبة الحقيرة ناهيك عن تحوير رموز برج الجدى والعذراء لتصبح الله ومحمد .

اسألوا التاريخ وقلبوا جنباته هل حدثت فيه ضربات موجعة أو قاضية مثلما حدث لمسلمى البوسنة فى يوغوسلافيا وكوسوفا فى التسعينات من تضافر الغرب مع الصرب ضد قلة مستضعفة، فكالوهم من ألوان العذاب حتى أعطوا الكلاب حق هتك عرض البنات ، وشردوهم وهم ألوف فى ديارهم بدعوى التطهير العرقى وما تلا ذلك من اغتصاب للفتيات فى معسكرات الاعتقال، بهدف اقتلاع جذور الإسلام من آخر معاقله فى ديار الحضارة الغربية[٢].

نعم هم يد على من سواهم، ومن سواهم غير جماعة المسلمين، سيما بعد فناء الماركسية وتشييع الاشتراكية إلى مثواها الأخير، فقد أصبح الإسلام لهم عدواً وحزناً .

---

(١) د. مصطفى محمود، الأهرام ، ٢٠٠٣/٤/٢٦م.

(٢) د. احمد كمال ابو المجد (حتى لا يتحول الإسلام إلى مشكلة لمنية)، العربى أبريل ١٩٩٢م

٣- وأين النظافة الداخلية ؟

فالفتى الغربى لامع الشعر والنعل، مظهره متألق ومتأنق ولكن هل يعرف الاستنجاء أو الطهارة من الخبث أو الاغتسال من الجنابة.

هم جميعاً أمة واحدة، لا يعرفون الطهارة من الحدث الأكبر أو الأصغر، مع ما فى الطهارة من فوائد جمة طبية، والإفلات من الميكروبات والفيروسات ، فهم يكتفون بأوراق التواليت فى دورات المياه.

ومهما تطهر المحدث المتغوط بأوراق التواليت، فإنه لن ينجو من بقايا وأدران، تظل عالقة فى مواضع النجاسة، ولا يزيلها إلا الماء الطهور وتلك سنة غائبة، لذلك يحسد المسلمون على نعمة الوضوء وإن كانوا عنها غافلين، وكم كانت معاناتنا فى دورات المياه حين كنا فى دراسة فى أوروبا بسبب غياب المياه من دورات المياه.

٤- الإيناس مع الكلاب:

غداة التفكك الأسرى والانفصال الجسمانى الذى يقطع أوصال المجتمع الغربى صارت الحفاوة بالغة بالقطط والكلاب، ونالت حقوقاً أكثر من حقوق الإنسان. ناهيك عن أضرار تلك الحيوانات وهى بالقناطير المقنطرة، وأقلها انتقال عدوى الفيروسات التى تحملها والتى تفتك بالإنسان أو تضره ضرراً متفاقماً... ولكن تلك هى أوضاع الحضارة الغربية والتى نحن على آثارها مقتدون.

٥- المروءة فى المغارب :

وأنت راكب فى إحدى المواصلات العامة ترى جهرة لصاً فاجراً يهاجم امرأة ويفتح حقيبتها ويسلب نقودها على أعين الناس، فهل يتطوع لنجدتها أحد من الركاب ؟ لا يحدث ذلك إلا نادراً ، فالشهامة تمر بمرحلة الغروب وكم يتحسر الإنسان حينئذ على ما يرى ؟.

وأحياناً صديق وصديقه يتناولان العشاء سوياً أو يجلسان فى إحدى المقاهى وعند الانصراف يدفع كلاً منهما ثمن طعامه وشرابه، وقد تسرب هذا العرف عندنا سيما من عاش فى الولايات المتحدة الأمريكية نعم فللضيف كرامة، ولكن لهم عذرهم فلم يمر عليهم حاتم الطائى يوماً.

٦- وما قدروا المرأة حق قدرها :

النظرة الدونية للمرأة

فالمرأة عند فلاسفة الحضارة الغربية هى أصل الخطيئة، فهى التى أخرجت أدم من الجنة، وهى اليوم تمارس أعمالاً تحط من قدرها وتمتهن أنوثتها ، فهى عاملة فى البارات والحانات والظلمات، وبعد زواجها ينادى عليها باسم زوجها وتصبح عائلتها نسياً منسياً، وإن شاءت لها الأقدار أن ترمل أو تطلق يصبح لها اسم جديد من زوجها الجديد، وهكذا يصبح اسمها فى الحضارة الغربية دولة بين عائلات الأزواج.

ومن مظاهر الجور أنها تحرم من ميراث زوجها حين تفتح الوصية فيذهب الميراث إلى غانية زانية كانت على علاقة غير شريفة بالفقيد، وهو ما حدا بفريق من عقلاء الغرب أن يطالب بتطبيق شريعة العزيز الحكيم.

ومن الأوضاع المؤلمة وبترخيص من الدولة تجارة تجرى على نطاق واسع فى أوروبا هى تجارة النساء، وغالبية أصحاب الملاهى هم أنفسهم المديرون لهذه التجارة، حيث يجذبون الفتيات من بلادهم الأفريقية والآسيوية الفقيرة بعقود عمل لسنتين غالباً، بينما لا يستطعن فى الواقع الحصول على إذن عمل إلا لمدة أشهر بسيطة، ولكن الجزء الأكبر من أرباحهم يأتى عن طريق بيعهن إلى دول أخرى بصفة (فرق فنية) وبينما تنتظر النساء نقلهن، يبقين محبوسات ومجبرات على ممارسة الدعارة ، ويعشن بشكل مهين وبرواتب زهيدة من مؤسسات الجنس التى تتفنن فى عرضهن فى الفترينات، وحبسهن فى أقفاص ومن تأبى تلفق لها جريمة سرقة أو تزوير أو تهرب خالية الوفاض.

ولقد وجدت جثث بعضهن هناك تحت الجسور المظلمة، وقد حاولت المؤسسات الرسمية محاربة هذه التجارة الوقحة ولكن يبدو أنها عاجزة أمام المافيا الرهيبة التى توسعت لتشمل التجارة المعاكسة عبر ترحيل الأوروبيات إلى الدول الآسيوية من خلال ما يسمى بالسياحة الجنسية، وقد وصلت الوقاحة إلى الإغراء بعمل سحوبات ترويجية يفوز فيها الرجل بامرأة إضافية[1].

٧ - اقتلاع الحواجز بين الحلال والحرام :

نعم تعرف فى وجوههم نضرة النعيم، وبلادهم كلها خيرات حسان، ولديهم باقة من السلوكيات المبهرة نحن مطالبون باقتدائها واقتفاء أثرها، ولكن الواقع يشهد كثيراً من مظاهر التفسخ الأخلاقى ،

(١) عبد الهادى صالح، الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٣/٣١م، مستقاة من كتاب تجارة النساء فى أوروبا، كريس ذى سنتوب، مترجم.

وليس بضارهم شيئاً أن تكون بعض المنكرات على قارعة الطريق، وتدهور أخلاق النساء بل الصبيان، فالعازل الواقى من الحمل يوزع على أولاد المدارس منذ الحادية عشر، لاستخدامه فى اللقاء الجنسى المرتقب، ورجال الدين لا يملكون إلا الامتعاض أمام هذا الإجراء والاجتراء والافتراء على الناموس الأخلاقى ، وبالجملة فقد زلزلت الحواجز بين الحلال والحرام، وصارت للمنكرات نواد ورواد، وبالجملة نقضوا غزلهم وأصبحت المعجزات تجتمع مع الموبقات، وظهر الخلل بادياً جلياً بين التقدم والسلوك، وذلك من النذر الأولى لخراب الحضارة الغربية ومن ذلك :

١ - البغاء مهنة حرة:

الساحة الأوروبية بطولها وعرضها يموج فيها دعاة يروجون لتجارة الجنس، بل وصل الأمر إلى حد الأطفال واغتصابهم ثم الفتك بهم، وقتلهم كما يحدث فى بلجيكا مثلاً ، وتصاعدت نسبة الانتحار الفردى والجماعى كمنهج أمجد فى ملتهم.

وأخيراً شهادة علمية هى الأول من نوعها تمنح للإثارة الجنسية وأفاق عالم العرى ، بدون ملابس أو ملابس مثيرة ترسم البسمة على الوجوه. ابتداء من الرقص المثير الخليع حتى فنون التسوق الجنسى ، تتوج شهادة البكالوريوس فى فنون الإثارة الجنسية، وقد يصل الأمر إلى حد إجراء عمليات تكبير أو تصغير أحجام حساسة فى أجسامهن [1].

فتيات على قارعة الطريق أو فى بيوت معدة تلوح لك بالفتنة وتغريك بارتكاب الزنا، فتيات كبغايا اليهود لا ترد يد لامس لها.

---

(١) جريدة النبأ المصرية فى ٢٠٠٣/٣/٢٣م.

والمجتمع الأمريكى لم يعد يعبس فى وجوه العاهرات، والأطفال المشوهين يجوبون الشوارع ذهاباً وجيئة وغالبيتهم قد أصابهم من سفاح الحرية الجنسية الغربية شيئاً[1].

نعم الفاحشة يأتينها بترخيص من الدولة حتى أصبح البغاء مهنة حرة تمول الخزانة العامة، بيوت مفروشة ومحلات مخصوصة، ونساء من كل جنس حسناوات وجميلات على قارعة الطريق، أو هن عارضات لأنفسهن وحسنهن أمام بيوتهن فى العواصم الغربية المتمدينة، ليصبح البغاء هناك تجارة لن تبور، وأصحابها فى عداد الممولين.

ففى الولايات المتحدة وحدها يعيش على أرضها ٩ ملايين من أبناء الزناه، ويجأر الاقتصاد البريطانى أو يئن - ودول الغرب قاطبة - من الإعانات المالية الباهظة التى يمول بها العاهرات بسبب كفالة الدول لأبناء الزانيات طالما لم يعرف الفاعل، سيما وأن ولد السفاح يولد بعد معاشرة العاهرة لعدد كبير من الفساق والأصدقاء الذين مردوا على الزنا، ومن الطريف فى هذا الصدد ما نشرته مجلة القبس الكويتية من أن مومسا دينامركية أرادت أن تقلل من كلفة عملية جراحية أجرتها لتزيد من حجم صدرها لمزيد من الإغراء والإغواء فأضافتها على حساب تكاليف المهنة لتخصم من الضرائب التى تفرض عليها (ضريبة المهن الحرة)، ولكن مصلحة الضرائب رفضت هذا الخصم فتظلمت أمام لجنة الطعن فحكم لصالحها تأسيساً على أن الرغبة فى الحصول على صدر أكبر أكثر إغواناً يمكن أن يعتبر نشاط مهنى ، وأن الاستثمارات المخصصة لتحسين آليات العمل لابد وأن تعفى من الخصم[2].

---

(١) مصطفى محمود الأهرام ١٩٩٣/٩/١١م

(٢) مجلة القبس ٢٠٠١/١/١٦م.

نعم البغاء فى كل عصر ومصر، وطلاب المتعة لهم دروب مخصوصة ولكن إسراراً لا جهاراً وفى جنح الليل وليس فى وضح النهار.

• أين تعاليم عيسى بن مريم رسول الله سيما بعد تقلص السلطة الأبوية، وتفشى اتخاذ الأخدان وذيوع الانفصال الجسمانى ، وكثر تهديد السالكين فى ضرب الفضيلة، وتحريضهم على الرذيلة إن أردن تحصناً، وأذكر أننى حين كنت مبعوثاً فى أوروبا كان يحز فى نفسى كثيراً أن أرى سيدات يقعدن بكل مرصد وقد تجاوزن خريف العمر تواجه الصقيع لاستقبال طلاب المتعة الرخيصة، يقولون هلم إلينا فنحن ضحايا الحضارة الغربية فى شقها المأزوم.

إن المرأة فى مجتمعات المسلمين لها ألف عاصم وعاصم، يصون عفافها حتى وإن لم يكن لها ولياً مرشداً، فالمسلمون هم حراس القيم بعضهم أولياء بعض، ولقد كان من حسنات التشريع فى مصر أن ألغى مواخير الدعارة فى وقت مبكر ، والتى كانت قد صدرت إليها فى أيام نحسات من احتلال الإنجليز.

٢- الزواج التجريبى وحمل المراهقات:

ماذا آل إليه حال الروسيات بعد ٧٠ عاماً من الإلحاد الماركسى ، وضع الأطفال فى صناديق القمامة لا خشية العار، ولكن ما ورثته من قيم الإلحاد.

إحصائيات دقيقة، مدهشة ومذهلة فى أمريكا وحدها، أكثر من مليون فتاة دون التاسعة عشر تحمل كل عام سفاحاً من أترابهم ولداتهم

ليصبحوا على أعتاب مشاكل قميئة لا تنفك عنهن، فالحرية الجنسية مفتحة أبوابها تحت شعارات مزخرفة، حتى الكنيسة الغربية فى إنجلترا ترددت ثم أباحت الزواج التجريبى أمام الشباب، حيث يقترن الفتى بفتاته ليعاشرها معاشرة الأزواج بلا عقد زواج، حتى إذا نجحت التجربة تلتها عقدة النكاح بعد سنين عدداً ، وكم تقاسى المراهقات من ذلك بل قد تدفع عمرها ثمناً لتلك العلاقة المشينة.

هل تعلم أن ثلث الأطفال المولودين فى إنجلترا وويلز فى عام ١٩٩٥م غير شرعيين؟، ولدوا خارج عش الزوجية، هل يناسب هذا بلد هى تصدر الثقافة، ولغتها اليوم لها الصدارة على لغات العالمين؟[١].

إن عدد الفتيات المراهقات الحوامل بين الأمريكيات غير المتزوجات ظاهرة تستشرى فى المجتمع، فى معظم شرائحه، بعد أن كانت حكراً على غير المتعلمات [٢].

٣- اتخاذ الأخدان :

حيث يجتمع رجل وامرأة تحت سقف واحد، يعاشرها معاشرة جنسية بلا زواج، بلا ميثاق غليظ يحل الفروج ويعطى الحقوق ويفرض الواجبات، وفى ظل هذه العلاقة الآثمة، قد ينتج أولاد ينسبون إلى الأم وحدها، فصاحبها ليس زوجاً لها بل مجرد خليل التقى بخليله، وهكذا وتذهب حقوقها فى مهب الريح. ولقد باركت محكمة النقض الفرنسية هذه العلاقة الآثمة وأضفت عليها سياجاً من الشرعية.

---

(١) المسلمون العدد ٥٩٥، ٢٨ يونيو ١٩٩٦م

(٢) مصطفى محمود الأهرام ١٩٩٣/٩/١١م.

ووأسفاه فإن هذا السلوك الهابط يأتيه بعض أبنائنا فى الخـــارج تقليداً للغرب، واستغلالاً للأوضاع الباطلة، وكم تجر عليهم من أوجـــاع تقض مضجعهم وقد تحطم مستقبلهم بعد ذلك، يبـــارك المجتمـــع أولاد السفاح ويحرمهم من نعمة الأب والوالد والوراثة، فيخرجون إلى الحياة فى أخس الأوضاع الأسرية ومن ثم يضمرون العداوة للمجتمع.

٤- حق الإجهاض للبغى :

الانطلاق المحموم وراء الشهوات البهيمية، فأخذ كل من الرجل والمرأة يعب منها عبا؛ فامتلأت المحاض، بمئـــات مـــن الأولاد غيـــر الشرعيين، وانتشرت عمليات الإجهاض السرى والعلنى ، وبدأ عقلاؤهم يتساءلون إلى أين نحن ذاهبون؟.

المجتمع الغربى أباح الزنا ثم فشل فى التعامل مع ثمرته أو قل قطوفه الدانية أولاد السفاح، ومن ثم كانت رذيلة الإجهاض [1].

لقد كان مما أنعم به الرئيس الأمريكى بيل كلينتون على شـــعبه غداة فوزه فى انتخابات الرئاسة أن سن قانوناً لإباحة الإجهـــاض لمـــن تشاء، وكان ذلك بناءً على موعدة وعدها إياهم أثناء حملته الانتخابية ، وكان صادق الوعد ، إلا أن عقلاء الغرب قد عضوا عليه الأنامل مـــن الغيظ كما لمتعضت دولة الفاتيكان ولكن عبثاً.

كان الإجهاض فى أوروبا منذ عهد ليس ببعيد إجراء طبى يجرم فاعله لأنه اعتداء على حياة آدمى ولكن السنين الأخيـــرة مـــن القـــرن العشرين شهدت موجات متتالية تدعو للتمرد على كل ما هو موجـــود، ولو كان هو الميراث الأخلاقى ، وتمخضت الفلسفات الهادرة عن فـــتح

---

(١) عبد الله الشبانه ، مرجع سابق ص ١٦٤ وما بعدها.

أسواق جديدة لبيع أجنة مجهضة، لاستخدامها فى أمور كيماوية وطبية، فكان الإجهاض الذى سول لهم وأملى لهم!!.

الإجهاض هو أيسر سبيل للخلاص من أسوأ سبيل ، ويشجع الحرام وطلاب الفواحش وهو معبر للتحلل والإباحية، ويأتى بالأمراض الوبائية العصرية كالإيدز، فالإجهاض اللأخلاقى يدمر المراهقات ناهيك عن الساقطات، ومن أوخم أثاره التى بدأت تطفو على السطح وتنذر بالحظر، أن حدث الخلل فى الهرم السكانى ؛ إذ فاقت حالات الإجهاض حالات المواليد.

٥- فى الحفلات تبادل الزوجات:

فى الحفلات والمناسبات يتم تبادل الأصدقاء للزوجات وينتحى كل صديق بزوجة صديقه ليشربا النخب سوياً أو تجالسه كيفما شاء يتبادلا القبلات، ذلك من أعراف الأجانب ليعبر كل صديق عن مشاعر الود لزوجة صديقه.

لقد كان مما ذكره **ابن بطوطة** الرحالة الإسلامى المشهور أن الإنسان الغربى سائر فى الطريق مع امرأته فيقابله صديق لها فيأخذ بالحديث معها، فإذا طال الوقت تركها الزوج مع صديقها ومشى . ويعلق الرحالة المشهور قائلاً متحسراً: أين ذهبت أخلاق القوم، وإلى مدى ضعفت الغيرة أو ذبلت؟.

وآخر صيحات التردى الخلقى فى بلد كإيطاليا هو الإعلان رسمياً عن تشكيل نقابة لتبادل الزوجات، والمسجلين فيها اليوم بالآلاف المؤلفة[1]. وفى نهاية الحفلات والمناسبات يتأبط الرجل زوجة صحبه

---

(١) مجلة المجتمع الكويتى ، الوجه الآخر للحضارة الغربية ١٩٩٦/١/٢٥م

ليلتقطا صورة تذكارية سوياً تعبر عن حسن المودة والإخاء، وفى حفلات الزفاف يمسك والد الزوج بيد والدة الزوجة والعكس بالعكس، كما يراقص الجميع بعضهم بعضا، فيتأبط الرجل امرأة من المحارم أو غير المحارم ولا تثريب عليهم من دين أو مذهب، وبين الفنية والفنية يتم تبادل القبلات، وإلا عد من الخوالف. نعم فى شريعة الأجانب كما فى شريعتنا لا يجمع بين الأختين، ولكنهم يختانون أنفسهم، فللزوج بدلاً من أن يراقص زوجته يراقص أختها ولساعات طوال حتى الصباح ، ولا ندرى ماذا يفعل بها أو تفعل به حين تشتد الدفوف وتتلاصق الأبدان وتنتصر مكائد الشيطان.

ومن المعروف عرفاً هناك، أن يقبل الرجل زوجة صديقة وللأخير نفس الحق كما فى الزيارات العائلية.

٦- تضعضع الحياء :

يضاجع الزوج زوجته على أريكة فى أوضاع مخلة لا مانع أن يشهدها المقربون الطوافون عليهم ، وليذهب الحياء أدراج الرياح . ولتهنأ الحضارة الغربية بدفن القيم وليشهد الولد ما يفعل الوالد بأمه دون خجل، ناهيك عن مظاهر الحب المتبادل التى تتم على قارعة الطريق جهرة أو فى المواصلات العامة أو فى المطاعم .

٧- تعدد الخليلات :

زوجة ثانية لا مرحباً بها، ولكن تزوج بواحدة وصاحب من شئت منهن، تلك مكرمة الحضارة الغربية أسدتها إلى أهلها ، فعندهم زانية أولى من زوجة ثانية، وهكذا يختانون أنفسهم، ويرفضون تعدد الزوجات ومرحباً بتعدد الخليلات.

ولا يخفى على فطنة القارئ أن تعدد الخليلات يدفع الزوجة إلى الانتقام من زوجها والذى فقد عفته، كما تراود المرأة نفسها أن تفقد عفافها بدورها، عملاً بمبدأ تكافؤ السيئات.

وإن تعجب فعجب قولهم أن الإسلام يجور على الزوجة الأولى إن تعددت الزوجات ، وتناسوا أن الزوجة هى التى تدفع زوجها فى أحيان كثيرة إلى الزواج بأخرى كما لو كانت مريضة أو عقيمة، وكم فى نظام تعدد الزوجات من فضائل ومكارم، أقلها وقاية للمجتمع من شرور تعدد الخليلات وأثام الساقطات، ثم هو يبيح لأهل اليسار أن يتزوجوا بما طاب لهم من النساء فى الحدود المشروعة دون سلوك ضروب الفسق، كما أنه نظام فيه وفاء للزوجة الأولى التى قد تصاب بمرض يثبط الحياة الزوجية، ويحول دون أولاد الحرام ويحمى المرأة من التدهور الأخلاقى .

ومن المفارقات الغريبة لو أن مسلماً ذهب إلى أمريكا مثلاً ومعه زوجتيه، فلن يؤذن له بالدخول، لأنه يخالف النظام العام هناك، ولكن المسلم يستطيع الاحتيال بأن تكون إحداهن زوجته والأخرى يزعم أنها خليلته، حينئذ تفتح له الأبواب.

٨- يأتون فى ناديهم المنكر :

نعم يأتون الرجال شهوة ويقطعون السبيل، قد نجد هذا فى دول كبيرة، ولكنه ذاع وشاع فى الغرب حتى أصبح عرفاً مألوفاً، حتى أن بعض المنظمات الغربية غير الحكومية خيبت الآمال حين أدلت بدلولها فى مؤتمر بكين المشهور بنظريتها المشئومة التى ترفض فيه تقسيم

البشر إلى ذكر وأنثى ، ومن ثم فمرحباً بالسحاق واللواط مواقعة الأنثى بالأنثى والذكر يأتى الذكر.

نعم الشواذ منبثون فى مكان ولكنهم فى كهوف ومغارات يأتون فيها المنكر وليس بقانون من البرلمان وحقاً قول ربنا ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٦].

ولكن هل يعقل أن تستضيف بلاد الشموخ الحضارى والتقدم العلمى أكابر مجرمى الجنسية المثلية، وهل يعقل أن يستقر فى وجدان الكنيسة الإنجليزية إنه ليس ما يمنع أن يكون الشخص مسيحياً وشاذاً جنسياً فى الوقت ذاته، بل ألغت الحظر على كهنتها وروادها [1].

لقد اندثر قوم لوط مع القرى التى ائتفكت بأهلها ودخلوا مع الداخلين فى مزبلة التاريخ ، فهل يعود الشواذ إلى تاريخ البشرية، ويكونو بمفازة من العقاب بقانون يصدر من نواب الأمة فى البرلمان الغربى .

إن جريمة أتيان الذكور فعل شنيع وخسيس لا يجرى حتى فى عالم الحيوان، فلا ينزو الذكر على ذكر مثله، فإذا هو شائع فى ديار التقدم العلمى ليصبح جسم الإنسان مرتعاً للجراثيم الفتاكة الغازية وليأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، أى عار على رجال الدين فى صوامعهم حين تبارك الكنيسة فى إنجلترا إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وكذلك الصبيان ، وينعقد البرلمان بمجلسيه اللوردات العمومية ولا يجدون فى صدورهم حرجاً مما قضت به الكنيسة هناك فى التآمر على قوانين السماء، فإن بقايا الوحى عندهم ما جاء فى سفر اللاويين إذا

---

(١) مجلة الإرشاد اليمنية رمضان ١٤٠٧هـ ص٤٠.

اجتمع رجل مع ذكر جماع امرأة فقد فعل كلاهما رجساً، إنهما يقتلان. لقد كان من مآثر المحكمة الدستورية الألمانية إباء زواج الشواذ، وقد بدأت بتوجيه القضية بتوجيه شابين إلى محكمة الأحوال الشخصية للتصديق على زواجهما من بعض، فأبت دعواهما لما فيها من فسوق ، والطريف أن المجرمين قد طعنوا على الحكم أمام المحكمة العليا فأبت بدورها إلا أن تعرف المعروف وتنكر المنكر.

لقد استصدروا قانوناً فى الولايات المتحدة الأمريكية يرحب بالشواذ حين ينخرطون فى الجيش بدعوى أنهم كما يسمون أنفسهم المرحون ، وكان إصداره صدمة لكبار المسئولين وأولى النهى الذين ذهبت تحذيراتهم أدراج الرياح، بسبب تخوفهم من التأثير على معنويات الجنود، فضلاً عن التأثير فى درجة الانضباط وانتشار الإيدز بين الصفوف، وهو ما قد يدفع بالكثيرين إلى الخروج من الجيش. وفى إيطاليا أنشئت رابطة الشذوذ الكبرى ، وقد أصبحت التكنولوجيا تخدمهم الآن عن طريق الهرمونات التى تجعل من صورهم وأشكالهم أشكال النساء.

ورغم الأمطار والصقيع فى برلين فى ألمانيا يحتفل الشواذ سنوياً بشذوذهم فيجولون فى الشوارع الرئيسية مئات الآلاف منهم رجالاً كثيراً ونساءً وقد بهروا أعين الناس، بعضهم بالملابس الداخلية فقط ويسيرون لمسافة تزيد على خمس كيلو مترات للتعبير عن أنفسهم وابتهاجاً بمسلكهم ومنهم من يتبوأ أعلى المناصب ولا غضاضة. لا يتناهون عن منكر فعلوه، وأصبح لا أدب يفيد ولا أديب (١).

---

(١) السياسة الكويتية فى ٢٠٠١/٦/٢٥م.

٩- نوادى العراة تلطخ جبين الديموقراطية الغربية

هل الديموقراطية تعنى التحرر من كل قيد؟ نعم واصل الليبراليون سعيهم الحثيث للتحرر من كل قيد، فكشفوا عن أنيابهم واجتمعوا فى ناديهم يموج بعضهم فى بعض رجالاً ونساءً، وقد بدت لهم سوءاتهم، فى سلوكهم قمة السعادة وعنواناً للرقى ، وأما الحياء فقد شيعوه إلى مثواه الأخير، وقد صار لهذه الأندية بطاقات للعضوية والعضوية الفخرية يجتمعون بها بترخيص من الحكومة.

نعم قد تكون الغرائز كامنة ولكن الإثارة متأججة نارها، ومن الطريف أننا حين كنا فى بعثة فى أوروبا وجاءت بنا سيارة ذات يوم إلى سور لنادى العراة فاندفع أحد منا يحمل آلة تصوير يود التقاط صوراً لهم ، فأجابه الحارس أن يخلع ملابسه ابتداء ليسمح له بالدخول، وحينئذ يتجول كزميل زائر، ولا نعرف استثناء فى هذا اللهم إلا ما نشرته الصحف من أنه فى منطقة موسكو عند نهر يقال له نهر الموسكونا حيث يكون مكنة راكبى سفن التريض أن يشاهدوا العراة من الجنسين دون ساتر فما قولكم دام فضلكم أيها المتيمون بالليبرالية عندنا.

نأسف كثيراً لأن علماء البيئة الغربية يقولون أن الخجل والحياء صفتان من صفات العالم الثالث ، ويرد عليهم بأنه ليس "من الهمجية" فى الدول الراقية أن يشيع بينهم العرى ولو كان فى ناد محاط بسياج.

فما هو رأى المولعين بالتقاليد دون تفريق بين الغث والثمين ، ولو كان الباطل الزهوق. نعم إن أمتنا هى سيدة الأمم فى مجال الرشد الأخلاقى مهما ران عليها من تخلف مادى أو تكنولوجى إلى حين .

١٠- حقوق الإنسان : من الاحتلال إلي الاستحلال

مما يحمد لألمانيا أنها تكاد أن تكون الدولة الغربية التى لم تحتل بلداً عربياً. والآن حين يقتل العشرات من العرب أو العجم فلا تثريب عليهم اليوم، أما حين تحدث الجناية على غربى أو يهودى فهنا يكون الافتئات على حقوق الإنسان، أن تدفن أوروبا نفاياتها فى أراضى العالم الثالث فهذه من حقوق الإنسان، فحقوق الإنسان تستخدم بمعايير مزدوجة، تجعل الحقوق هى حقوق الغربى وحده، أليست هذه قسمة ضيزى . أى قسمة جائرة.

فأبناء الحضارة الغربية يهتمون بتأمين مصالحهم على حساب المستضعفين من الشعوب الذين تنهب ثرواتهم فيرتد أصحابها إلى حظيرة الفقراء فلا يجدون ما ينفقون ، ومن ثم فقد أصبح استنزاف الدول النامية بطرق شتى هى من حقوق الإنسان الغربى .

هل أفقر الإسلام بلداً فتحها ، لقد جعل أزلة أهلها أعزة، والنداءات التى توجه للمستضعفين فى الأرض تعدهم وتمنيهم، ولكن هيهات لما يوعدون، فالإنسان فى بلاد الديموقراطية الغربية هو إنسانهم وحدهم.

إن العالم الذى صدر فيه الإعلان العالمى لحقوق الإنسان اغتيلت فيه حقوق شعب بأسره شعب فلسطين العربى المسلم.

الفرع الثالث
أسباب مما عملت أيدينا

أولاً : دعاة التغريب وأدعياء التنوير

- نخبة تحمل لواء التبعية فى العالم العربى :

عن الإسلام هم لا يطيقون سمعاً، وهم متفقون فيما بينهم على توزيع الأدوار لهدم الثوابت فى الدول الإسلامية، كل منهم لآياتنا عنيداً، وليس عندهم رهبة من لقاء ربهم ، بل هم فى مرية من لقائه، يريدون تحويل كلام الله إلى وجهة نظر، ولا يهمهم أن يبدل دينهم، أو إذا نوقش الجهبذ منهم كان صدره ضيقاً حرجاً مع كونه يدعى إلى الإسلام.

هنيئاً للغرب بأزيالهم وسماسرتهم فى الشرق الذين أغنوهم التآمر المباشر، ثلة من أصحاب القلم أمنهم ديننا من خوف فترعرعوا فى ربوعه، فإذا هم يتبعون غير سبيل المؤمنين، لا يفرقون بين منهج السماء وأفكار البشر، بين الدين والفكر الإنسانى ، فيهجمون على الدين باسم حرية الفكر، ويحدوهم حب الظهور فى كثير من الأمور ، ينتصرون لكل سلوك وافد كفصل الدين عن الحياة ، صنفت عقولهم فى مصانع الغرب ومن ورائهم سماعون لهم يسمون أنفسهم بأن المبدعون بأنهم همهم تقليد الأجانب دون تمييز بين الإيجابيات والسلبيات، فهو شرف لا يدانيه شرف، ودعواهم الإبداع، ليس فى محراب التقدم العلمى وإنما السخرية من أوضاعنا وقيمنا، وإذا انكشفت عوراتهم أعلنوا التوبة والعودة، وهم جميعاً كما يقول المولى عز وجل[1] : ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، ولتعرفنهم فى لحن القول فماذا قدموا

---

(١) مصطفى صبرى ، قولى فى المرأة ص ٧٥.

لأممنا، كل ما قدموه أن يظل الغرب هو القبلة، فتتأبد للشرق تبعيته للغرب، وهم منبثون فى أروقة الحكم وأزقة السياسة وردهات الإدارات الحكومية، يحسبون كل صيحة عليهم، ويشغلون مواقع مهمة فى صناعة القرار، وهم على نوعين، نوع غم عليه أمره فانحاز سفهاً بغير علم، ولكن يمكن أن يثوب إلى دينه إن صادف ناصحاً أميناً، ونوع آخر أشبه بالبلاء فى بلاد العرب لا ينفعهم إن أردت أن تنصح لهم، تعرفهم بسيماهم، فهم مفتونون بالثقافة الأجنبية التى اترفوا فيها وأقصتهم عن ثقافة أوطانهم، يحدوهم خلع أستار الحياء وتناول أوضاع النساء وعمائم العلماء، والتهكم بطريقتهم المثلى ، يحبون الكر على موضوعات حسمها ديننا منذ أربعة عشر قرن من الزمان، كزى المرأة المسلمة ويبغونها عوجا، وهم فى شغل فاكهون بموضوع حقوق المرأة من التحرير إلى التحريض.

إن المجتمع العربى أوقع نفسه فى شراك نصبها له الآخرون بوعى ، ونصبها لنفسه بغير وعى ، ووقع بسبب ذلك أسيراً لتناقضات، التناقض بين الدين والعلم، التناقض بين العروبة والإسلام، التناقض بين الحاضر والماضى ، التناقض بين الأصالة والمعاصرة، بل وصل التناقض إلى أن الأمة أصبحت مولعة بالبحث عما يفرقها أكثر مما يجمعها.

الحاملون لثقافة حائرة أو منفصلة :

أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ثقافة غير مطابقة لواقع المجتمع العربى ، فمنطقها، وتعبيرها وذوقها مختلف عما تعود عليه أبناء المجتمع العربى .

وبالجملة فلقد أنتج الغزو الثقافى كُتَّاباً رصيدهم متضخم من الفراغ العقائدى ، والتمرد على الفطرة ، وصار بعضهم لبعض ظهيراً، ولم نرصد لهم أى إبداع حقيقى جنته الأمة، ولازلنا فى قوائم المخلفين فى أعين الأمم الراقية على رغم براعتنا فى كل الفنون العصرية، إنما السلوك الغربى عندهم محمود مهما علاه السوس، كُتَّاب لهم كتب أكثر مما لهم قراء.

- مؤتمر للمثقفين العرب يدعو للتخلى عن الثقافة الإسلامية والتحلى بالثقافة الغربية :

نعم طلاب التغريب فى شغل فاكهون - جاهزون تحت ستار ما يسمى "بتجديد الخطاب الديني" - على إعلان الحرب على دين الله ومنهجه وحضارته وتاريخه، فكان من أبرز النقاط التى توصل إليها يومئذ حضرات المثقفين العرب فى ناديهم:

- إلغاء النص على أن الإسلام دين الدولة.
- تفكيك المؤسسات الدينية وتبديلها بمؤسسات أهلية لها حق الفتوى فى الحلال والحرام.
- زحزحة تفاسير الجهابذة ونوابغ الإسلام.
- إلغاء التعليم الدينى لتحرير الوعى الإسلامى من الحلال والحرام لتحل علينا بركات حضارة الإباحة.
- وصم كنوزنا الفقهية بأنها من فقه القرون الوسطى .
- التنصل من كل ما قاله صحابة رسول الله ﷺ.
- نفى الأحاديث والسنة والفقه.

- وقف العمل بالمعاجم اللغوية القديمة، وتقديم لغة جديدة للانطلاق بها نحو النص القرآنى .
- وباختصار فهم يصموننا باللاهوت الإسلامى ، تلك دعواهم.

وبالجملة الإعجاز عندهم ما لا يعرفه النبى ﷺ ، والإنجاز عندهم هو النيل من تراثنا وتشويه قيمنا أو انتقاد تاريخنا، أمنوا بدعوى أنهم رسل للحرية المعاصرة التى تستبيح فى الأديان، وعلى سبيل المثال فقد أبان العقاد – رحمه الله – حقيقة المذاهب البراقة التى انخدع بها نفر من المصريين وغير المصريين، وتشيعوا لها فى زمان كان التشييع لواحد من هذه المذاهب دليلاً على الرقى والتحضر، وبلغ الانبهار بها حداً كان فيه "أبناء الذوات" هم دعاة الشيوعية مثلاً ، وقال العقاد فى إيجاز أن الاشتراكية العلمية المزعومة ليست من العلم فى شئ وأفاض فى ذلك حتى أتى بنيانهم من القواعد(١).

إن اعتقدو هؤلاء أن باعة الحضارة فى الغرب نيتهم إثراء واقعنا فهم واهمون.

والعجيب أن أدعياء التنوير الداعين لاقتباس سلوك الغرب جملة وتفصيلاً لا يرتحلون إلى قيم الغرب المعوجة فيأبى كبيرهم أو صغيرهم أن تقبل امرأته رجل آخر ولا يرضى أن يحرم من ميراث أبيه إن كان ذا مال على غرار ما هو فى الغرب حين تفتح الوصية، فإذا بالتركة تذهب إلى كلب من الكلاب أو عشيقة كان المورث على علاقة معها.

---

(١) مستشار د. محمد عبد البديع الأهرام ١٩٩٧/٦/٢٧م

ومن المعلوم أن الإسلام لا يضيق ذرعاً بمخالفيه بل يفتح الباب على مصراعيه للرأى الآخر بل يحض عليه فتلك حقاً حرية الفكر، ولكن لا لحرية الكفر.

فإذا شئنا القول فإن التنوير مبدأ إسلامى عريض وليس هو بمدلول غربى على ما يتوهم الواهمون فاستغلوا كلمة التنوير للتهجم على الإسلام حتى صار تنويرهم مؤلماً لما يؤدى إليه من الانسلاخ على القيم، وظهور جيل الشتات الفكرى بدعوى ملء الفراغ ببدائل أجنبية.

كل منهم يدعى إلى الإسلام ومعهم نفر قليل من أهل الكتاب يظاهرونهم، وطيلة سفرهم الطويل لم يقدموا لأمتنا أى تنوير جاد اللهم إلا محاولة اختراق نسيج القيم، غافلين عن أسباب النهضة الحقه، وكم فشلت مشروعات التنوير التى أغرونا بها، فمنهج التغريب لم يورثنا إلا إرباكنا فكان نصيبهم هو العداء اللاشعورى لأبناء الأمة بسبب التعتيم على ثقافتنا الراقية والتى اتبعها الغرب بإحسان يوم كان فى مرحلة النقل وحضارتهم فى مرحلة التلقيح.

إن الاندفاع نحو الغرب دون تفرقة بين التقدم العلمى والمساوئ، وهو أمر يصيبنا بالمعرة، وهم يبحثون ولو تحت الثرى عن مزالق لنا، ويوادون من حاد الله ورسوله، وما أشبه اليوم بالبارحة فأمثالهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا هم المرجفون فى المدينة، ينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة:٧٤]، وكما يقول أمير الشعراء أحمد شوقى :

يا معشر الكتاب أين بلاغكم ... أين البيان وصائب الأفكار

ثانياً : تجار الثقافة الهابطة (١)

ومن الأمور التى غيرت مجال الثقافة فى البيئة الإسلامية وحطت من أقدارنا أن موجات متباينة من الهزات الاجتماعية قد دخلت أجواء بلادنا وأوقعت الثقافة بين أيدى ثلة من المتاجرين بها وهم لا يمتون إلى الثقافة بصلة، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه أمام الرتابة والفجاجة والسطحية الشديدة، وغلقت الأبواب فى وجه الإنتاج الرفيع والمتميز.

ولقد قام المتاجرون بالثقافة بالترويج لفيض من الأعمال الأدبية والفنية بالغة الهبوط، هدفها السيئ أن تقتل وقت الجيل وأملها المنشود أن تسدل الستار على العقول، لا تحرك خيالاً ولا تثير فكراً أو حساً، فهى لا تثير سوى ما تحمله من الغبار، تهتم بنشر قضايا العار، وباختصار شديد فهى نتاج تعس بقدمه محرمون من الثقافة ويستخدمون فى عرضه وتقديمه – مع الأسف البالغ – أرفع أدوات الثقافة وأكثرها فاعلية وتأثيراً وتشويقاً.

ثالثاً – مرضى الشعور بالدونية:

فى الحقبة الأخيرة طغت علينا ثقافة مضمونها أننا لا نصلح لشئ، وإذا شئنا التقدم فالغرب مولانا وعنده مفاتيح العطاء، وتسرب إلينا شعور القابلية للاختراق ، ولذلك يقول مالك بن نبى أن أهل الثقافة التعيسة يغشى أهلها دائماً الإحساس بالدونية.

---

(١) د: أحمد كمال ابو المجد، خمسة معوقات تهدد باغتيال المستقبل العربى ، مقال بمجلة العربى يناير ١٩٨٣م.

فالشعور بالدونية هو عرض لمرض نفسى ينتاب الأمم، هو الهزيمة النفسية، ويفتك بالأفراد فيصيب الشخصية بالهزال والمجتمع بالاضمحلال فيجرهم إلى ساحة التقليد بدافع الإعجاب والانبهار للغير، شاءوا أو لم يشاءوا بسبب ضعف الاعتداد بالذات أمام المؤثرات الوافدة، وإن بدأ ذلك على غير قصد من المقلدين، لأن المؤثرات الوافدة تتميز بالقوة والإشعاع وقوة الدفع والقدرة على التأثير، ويصبح المقلد فريسة لذلك، وينحصر دوره فى الاستقبال كطرف بعيد متأثر، وقنوات الاتصال النفسية تربط بين قطبى المحاكاة وتقرب البعيد لهما لأنها ترتكز على الرضا والاستحسان، لأن الشعور بالدونية يفقد المهزوم ضرورة التفرقة بين ما هو إيجابى بنّاء وما هو سلبى هدّام فينغمس فى التقليد.

ثغرة الاختراق :

نعم هناك قوى جذب مركزية تنبع من صميم المجتمع العربى وواقعه، ملوحة للعرب أن هناك تعطشاً ثقافياً وفراغاً قيمياً ورغبة ملحة فى أى جديد ولو غير مفيد، وبغض النظر عن تلاؤمه مع القيم السائدة فى المجتمع، ومن هنا كانت ثغرة الاختراق للشرق الإسلامى ، فعمل الغرب على تشجيع الاقتلاع الثقافى بفرض الثقافة واللغات الغربية من ناحية، وبتشجيع التفكير السلفى الغيبى من ناحية أخرى ، وقد نشأ عن هذه السياسة ثنائية هائلة ضمن البلد الواحد بين فكر ليبرالى أوروبى وفكر سلفى يغرق فى متاهات الماضى [1].

(١) محمد صالح العجيلى ، مقاله سالف الذكر.

وقد استحوذ تقليد الغرب على شرائح كبيرة وقطاعات عريضة من جماهير أمتنا، فضعفوا واستكانوا أمام الإعصار الغربى ، وأحياناً من غير قصد منهم فتجاهلوا أعرافنا الطيبة ، فإذا قصت بنت على نحو معين قصت بناتها مثلها على هذا النحو لا جمالاً، وإنما على سبيل التقليد والإعجاب صماً وعمياناً، تجد المرأة العربية حين تزمع السفر إلى الخارج تتخلى عما كانت تتحلى به من الزى الإسلامى فتخلع رداءها وهى فى الطائرة لتكون نموذجاً للتحضر – فتسفر عن وجهها وتكشف ساقيها وتخدع نفسها بمواكبة العصر.

وهكذا انطلق أهل الشرق مفتونين معجبين بكل ما حملته السفن من أوروبا ومنها الثقافة التى بها محاصيل الرؤوس وعبَّ أهل الشرق منها عباً، بحكم أنها الحضارة الجديدة التى ولابد أن تكون خير حضارة فدخل إلى أجوافهم ما كان منها طلعه هضيم كما أن منها ما كان ذا غصه فاخترق الذات الإسلامية واحترقت معه الأحاسيس، لأنه نتاج ثقافة مشوهة فى السلوك خلت من محاسن الأديان وطيب الأعراف، وهنا يقول العلامة الدكتور أحمد زكى الذى كان رئيساً لتحرير مجلة العربى بعضاً من الكلم الطيب عن الأخلاق والقيم والعادات وأثرها فى حياة الناس وسلوكياتهم ومدى إقبالهم على تقليد الغرب أو الإعراض عنه.

والظاهر أن هذه سمة الإنسان فى كل الدهور والأزمان، وكأن به الطوفان من الغرب قوياً فضعفت جسور أهل الشرق عن حبسه ووقفه فراح يحطمها. وقوم كرام من أهل الشرق قاموا ليوقفوا هذا الطوفان عن علم، وآخرين قاموا لوقفه عن جهل، وألغى أهل الجهل

جهود أهل العلم فظل الطوفان يمتد ويغمر ولا يبالى [1]. وقد غمر الطوفان أهل الشرق فيما غمر قيماً شرقية هى فى الحياة غالية وأخلاقاً وسلوكيات نعمنا بها دهراً طويلاً، ركنا إليها واعتمدنا عليها فكانت لنا زاداً ومعيناً نبعها فياض نلنا منها راحة البال وصفاء النفس ونبل الفكرة وطيب المآل. ولكن الشعور بالدونية داء وبيل ألمَّ بنا.

لقد كانت مؤامرة محبوكة لتخريج أجيال مسلمة وعربية ولكنها ذليلة، ترى أن العلوم التى نتعلمها وافدة من الغرب، بينما هى فى الأساس من عمل الأجداد المسلمين الأولين الذين وضعوا أسس المنهج التجريبى العلمى ثم أهدوه إلى الغرب الذى لا يعترف بالجميل.

وهكذا كانت هزيمتنا فى إحساسنا مصدرها نكران الأمة لذاتها، وضعف ثقتها فى تاريخها وغفلتها عن ذاتها ومجدها، فراح - حتى - المثقفون منا يلتمسون سلوكياتهم من غيرنا دون تمييز بين صالح وطالح.

وحتى المناهج التربوية أصيبت بدورها بالشعور بالدونية بما تحويه من التسليم للعالم الغربى بالقيادة منذ فجر التاريخ، وهو ما يكون عند أجيالنا لا شعورياً رغبة ولو دفينة فى الانتماء إلى هذا العالم المتقدم، غافلين عن أن الفضل كل الفضل فى تقدم هذا العالم يعود للحضارة الإسلامية فى انتشال أوروبا من عصور الظلمات التى سادتها فى العصور الوسطى وأخرجتها إلى نور المعرفة واليقين [2].

---

(١) د. أحمد زكى ، الأخلاق والقيم والعادات فى حياة الناس ، مجلة العربى ، نوفمبر ١٩٧٢م.

(٢) د. أحمد شلبى ، مناهج للتاريخ والحضارة الإسلامية بها خلط وأخطاء، مقال للأهرام فى ١٩٩٣/٣/٢٠م

فنحن نقلد الغرب اليوم فـى تقـديم الزهـور الطبيعيـة عبـر المناسبات، نقلد فى الشكل دون المضمون، لأن عشق الزهور عندنا لـم يتغلغل فى دمائنا ذلك المغزى الجميل لتبادل الورود والمعانى الرقيقـة البالغة العذوبة، وإدخال البهجة فلا يزال الأمر تقليداً دون نظرة إلى شئ من جمال الطبيعة وتبادل البهجة.

وقد يرى البعض أن الاتجاه نحو الغرب ليس حالة مرضية وهو رأى صائب إذا كان الاتجاه المذكور صوب التكنولوجيا والعلوم الحديثة، أما أن يصحب الاتجاه نحو الغرب الذوبان فى غيرنا وفقـدان هويتنـا، فذلك هو المرض الذى يحولنا إلى أمه معقدة.

إن الحضارة الإسلامية سادت الدنيا وعمرت ألف سـنة بينمـا حضارة الغرب لم تتجاوز خمسة قرون، فالمسلمون كانوا سادة الدنيا ولم يكونوا مجموعة من الدراويش كما يحلو للبعض أن يتهم، أحسنوا فهـم دينهم وعرضوه عرضاً جيداً فكانت لهم الصدارة والحضارة ففتحت لهم الأبواب وأقاموا دولة غطـت مشـارق الأرض ومغاربهـا وأزالـت إمبراطوريات القياصرة والأكاسرة، ولا تزال أسوار الدولة البيزنطيـة فى حوزة الدول الإسلامية شاهدة عليهم.

رابعاً : التقليد كمرض طفولى :

فلقد حذر الفلاسفة المسلمون من مغبة الوقـوع فـى المـرض الطفولى المتمثل فى محاكاة الغرب بحسبان العواقب الوخيمـة، لأنـه يستحيل محاكاة حضارة فى مظاهرها الخارجيـة دون الوقـوع تحـت سطوة الروح التى أنتجتها هذه الحضارة ، وروحها يتمثل فى التركيـز

على الذات والتعمد إلى فرض رؤيتها للتاريخ وللعالم على الآخرين، ومن ثم فإن استيعاب هذه الروح يغرس فى شبابنا المسلم شعوراً بالدونية يؤدى بهم إلى رفض ثقافتنا الإسلامية والهرولة وراء المحاكاة والتقليد والتبعية وضياع الهوية.

خامساً : فقراؤنا فى الثقافة الإسلامية واختلال المنظومة الفكرية:

فى إنجلترا يمنح أمين المكتبة لقب اللورد تشريفاً وتعظيماً، ومن هنا كانت الشهرة الفائقة للمتحف البريطانى فى لندن أو المكتبة الأهلية فى باريس، أما عندنا فأمين المكتبة موظف ضعيف أو عامل أرشيف أو خازن للكتب حتى أن أعداءنا صاروا يقولون إن القراءة هى العدو الأكبر للعرب .

نعم بيوتنا غاصة بالأجهزة الكهربائية فى هذا العصر، وأمة اقرأ لا تكاد تقرأ، أبناؤنا يموجون فى بحر من الهشاشة الفكرية لم يدركوا بعد حقيقة الانتماء للدين، وسلوكه الوضاء ونشأوا فى فترة عصيبة تميزت بظهور أزمات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهو ما ولد لديهم إحباطاً كبيراً فكانت ضحالة الفكر والأفق المحدود، ورغم توفر الشهادات العلمية العليا ، وهو ما يؤدى إلى زعزعة الثقة والقيم فلا يبق أمام الشباب سوى التشبث الواهى والإقبال على القشور دون اللباب .

لقد تراجع الكتاب وتقلص دور الولى المرشد ففتح الطريق للفضائيات لتصبح أداة التوجيه للشباب، فصار لديهم الاهتمام الزائد بتفاصيل حياة نجوم الفن ومشاهير الرياضيين، فتوارى المد الثقافى فى

بناء الشعوب. وشبوا منذ نعومة أظافرهم لا يعرفون عن الإسلام مجده فهم يجهلون تراث أجدادهم وأمجادهم والقرون الأولى ، وامتلكتهم أراجيف صدقوها وأكاذيب توهموها، حتى صاروا غرباء فى أوطانهم يناون عن دينهم [1].

إن الثقافة البناءة هى زاد الشعوب المعطاءة ، ولذلك يقال أن البيت الفقير هو البيت الخاوى من الثقافة ولو كان قصراً مشيداً، ومما نقل إلينا من الحكمة أن من يحرق الكتب يحرق الشعوب، واليوم هناك مرض ينتشر كالفيروس هو تسطيح كل عميق وتهميش كل لامع وتسخيف كل جاد فى ثقافتنا وذلك كله يجرى فى القرية والكونية وسط صراع حضارى غير متكافئ[2].

نعم حدث اختراق للمجتمع الإسلامى على أيدى خفية أجنبية، ولكن أعان على ذلك أن بيوتنا عورة وخاوية من الثقافة الدينية البناءة، وطغت على أسماعهم برامج التسالى والحكاوى ، ولو كانت الشعوب تتقدم عن طريق هذه البرامج لسبقنا العالم ولصرنا من أربى الأمم ، ولكنها برامج لا تبدى ولا تعيد فهى أشبه بثقافة الفيشار. ولهذا تدنت ثقافة الأسرة إلى أن صارت ثقافة سطحية، الهرج يغشاها والمرح والرقص والتهريج.

ودور الأب عندنا أخذ فى الضآلة والضحالة مع أنه قد أُهِّلَ ليكون ولياً مرشداً، إذ خلت بيوتنا من كتاب نفيس أو جليس صالح يعمره.

---

(١) حسن الشرقاوى ، المسلمون علماء وحكماء ص ٢٦٦ وما بعدها.
(٢) المسلمون العدد ٥٩١

إن ما يدفع بناتنا إلى التبرج هو الفقر المدقع فى الثقافة الدينية ، فيضيق صدرها بسلوك دينها، أما الشباب فغالباً ما يكونوا ألفوا آبائهم فارغين فسرعان ما تسارع إليهم تقاليد المنصرين ينبهرون بها، وهكذا يلتقى الفقر فى الثقافة الإسلامية مع الترف الممقوت، فتضعف لديهم حاسة الحفاظ على القيم، وتتنابهم بلادة الحس.

فهذه أسرة مولعة تحتفل بحفاوة بالغة برأس السنة الميلادية ، وذلك شباب يأتى وفى حضرة والديه بسلوكيات وافدة تتجافى ودينا، وآخر يلطخ جدران بيته بصور الفنانين ونجوم الغناء والكرة العالميين فهم المثل الأعلى ، وتلك فتاة تتحدث فى الهاتف مع من؟! وتجد الأبوين شاردين ، وشباب غريب الملبس والحركات ، ملابس غريبة وسراويل ضيقة، وملامح الغربة شأنهم ودأبهم، من يجلى الذهب مما علق به من القدر؟.

هل خليق بأبناء أمتنا فى أن يكونوا مع الخوالف، من الشعوب العارية عن الحضارة وأن يكون زادهم العتامة الثقافية فى أمور دينهم ونتحول إلى أمه تقاد إلى الاسترقاق العصرى .

كم عندنا من فقراء الثقافة لهم دوى شديد فى دور الإعلام ينظرون إلى الله بتهكم شديد، يريدون نقلنا إلى أوروبا أو نقل أوروبا إلينا، ومن هؤلاء المقلدين تحذر وإذا كان غيرنا قد تمرد على ما لديه من وحى فهو وشأنه، ومن نسى الأصول غابت عنه الفروع[1].

---

(١) الغزالى ، الحق المر، المسلمون العدد ٤٠٠

صدأ الحاسة الإسلامية :

يحز فى النفس كثيراً أن نرى الكثير وقد أصيب بوهن فى الشعور الدينى كمن يجاهر بالإفطار فى رمضان بلا عذر شرعى ، ولقد كان من نتائج الخواء الثقافى أن شرائح كثيرة من المثقفين وأصحاب المناصب قد وقعوا فى التيه وأصابهم الوهن فى الدين فصاروا ضعافاً فى العقيدة، وبالجملة صاروا فى شغل فاكهون دائماً بأخبار غير دينهم وإخوانهم فى بقاع العالم، ينخدع بهم زمرة الفقراء مثلهم فى الثقافة الإسلامية يحسبونهم على شئ.

ومن فئات ضعاف الحاسة الإسلامية المكذبون أولى النعمة والأثرياء الجدد، نعم المترفون الناعمون هم الذين أنزلوا ربوة الإسلام من عليائها، لقد وصلنا إلى العز ومازالت أقدامنا فى الوحل. فكانت لدينا ثروة من غلمان أشام لأن الترف قد أصبح عاهة لدينا. وصار التمرد على قيمنا مألوفاً ومعروفاً من المكذبين أولى النعمة، نعم الغنى أمر محمود وممدوح وديننا يحض عليه حضاً ، ولكن حين يتحول إلى ترف يضحى من عوامل الهدم، نتيجة التقمص والتقليد فى السيئات، وهو مسلك كثير من أبناء النخبة الاجتماعية التى آفاء الله عليها بالثراء والنعمة.

إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا ربوة الإسلام من عليائها، وقد أسقطت الخلافة الإسلام من قبل قصور الترف، إن فنون اللذة لا تزدهر إلا مع الضياع الدينى ، والمشاهد أن جماهير غفيرة من الأغنياء أبطرهم الترف وضعفت عند شبابهم روح الرجولة حتى ألهاهم التكاثر فى التمرد على القيم والتنكر لأعرافنا الطيبة بل ومحاولة هدمها،

فاهمتهم تسريحة الشعر، أو الولع بثياب الأجانب، وبالجملة زلزلة الحواجز بين الحلال والحرام والمكروه، فغاية الغايات عندهم هو المرح وإسعاد النفس وركوب موكب اللذات من خلال مفهوم ترسمة فلسفة الإباحية التى ورثتها الحضارة الغربية من اليونانية وأضافت إليها، وفى النهاية يصير الأمر كما لو كان عصر المثقف العربى قد ولى مدبراً، وجاءنا عصر جديد هو عصر التسطيح الذى تحركه الغرائز وعوامل التدليل ومساوئ الرفاه والسلوكيات الوافدة.

ولا يقتصر خطر المترفين، الذين اجتمع لديهم الترف مع فقر الثقافة الإسلامية فى الإقبال على البدع الغربية بل هم يقولون لإخوانهم هلم إلينا، بحكم أنهم ظاهرين فى الأرض وموضع إكبار وإعجاب، ومن ثم تنقلب والشرائح الاجتماعية الأخرى تبعاً لهم **﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾** [الأحزاب:٦٧]. والغريب أن كثيراً من هؤلاء المترفين كان غائلاً فأغناه الله من فضله.

إن الترف الممقوت يزلزل الكيان الإيمانى فهو كسوس ينخر فى عظام الفضيلة، وصدق الله العظيم : **﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾** [الفرقان:١٨]، فظهرت طبقات تبحث عن الوجاهة الاجتماعية بالانخلاع من الأعراف والقيم الإسلامية والتمسك بأهداب الغرب، سيما وأنهم أكثر استعداداً لتقبل الأفكار الوافدة.

ولا تزال تطلع على أحوالهم التى تتجافى عن المألوف والمعروف، فهذا شاب يتأبط فتاة مسلمة على قارعة الطريق، وهذا فوج مقتحم من الشباب – لا مرحباً بهم – بصحبة جمع من المراهقات ، ولا رابطة بينهم سوى المرح فى الأرض بغير الحق بدعوى الصداقة

البريئة يتلوها بعد ذلك مرذول الخلق، وكم يسخرون من الشرفاء الذين لا يملكون إلا جهدهم، مع أن كثيراً منهم ظهروا على السطح فى غفلة من رقابة الحكم، منتهزين طفرات السوق وانقلاب الأوضاع وسهولة التهرب من الضرائب.

ومما يزيد الطين بله أن الدهماء تقاد ولا تقود وعواطفها مشاعة لمن يستدرجها ومن ثم يسارعون بدورهم فى التقليد.

لقد أثرى البترول جيوبنا حتى التخمة فسارعنا إلى بدع التقدم الاستهلاكى حتى صرنا أساتذة فى هذا الدرب والضرب، ولم يصحب ذلك تقدم نظير فى المعارف، فضرب الخواء الثقافى علينا خيامه وأطنابه، وزاد منه تهافت المترفين على استلهام سموم البث الفضائى فى عصر السماوات المفتوحة للعيش أطول فترة فى أحضان السلوكيات الماجنة التى تساند القيم السائدة.

معاذ الله أن ينطبق علينا قول ربنا ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

إن الفاتحين لبلادنا والذين طاب لهم المقام فى أرضنا لم يرضوا ليوم واحد التزين بأزيائنا أو التسمى بأسمائنا أو انتهاج طرازنا فى الحياة رغم بقاء الكثيرين منهم طوال حياته بيننا، أما المتفرنجون منا فما ادخروا جهداً فى تقليد الأجانب فى كل صغير وكبير، حتى فى عادتهم فى القيام والقعود والتحية والترحاب.

بادع التغريب فى العالم العربى والإسلامى :

كم من الموتى يحكمون ويتحكمون فى الأحياء هذا ما حدث فى تركيا، بلاد كلها فيها خيرات حسان وجنات معروشات، وهى كثيرة الخيرات وشعوبها تحب الإسلام ديناً، ولكنها مقهورة ابتداءً من عصر أتاتورك حيث أحال حلوها مراً ، وأدخلها فى عالم الاغتراب بدعوى الحضارة.

لقد تولى الحكم غدراً على أحكام الإسلام، فأعلن رسمياً إلغاء الخلافة الإسلامية وبعثرت الدول الإسلامية إلى أقاليم شتى ، تنفيذاً لمخطط تفكيك العرب وتشتيت القوى هدفه فى النهاية أن يتسنى لليهود الاستيلاء على فلسطين المسلمة، وتبوأ الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة أسوة بالغرب، كمؤامرة خبيثة لإخراج تركيا من رابطة العالم الإسلامى ليربطها بالمجتمع الغربى ، استهزأ بالتقاليد الإسلامية وجلب أعرافاً غريبة وعمد إلى التحريض جهاراً وإسراراً على كل ما هو إسلامى ، ففى عام ١٩٢٥م ألغى التزين بالأزياء العربية الإسلامية ونص فى القانون الصادر فى هذا الشأن على تعميم الزى الغربى ، ووجوب لبس القبعات على الرؤوس وصدرت قرارات تفصيلية تعرف الأزياء المعروفة فى الغرب وتحض المرأة على السفور ولتكشف عن ساقيها ويتدلى شعرها على كتفيها على غرار المرأة الأوروبية!!.

وبلغ الحقد والاضطهاد أقصى درجاته حيث حظروا على الشعب التركى أن يحى بعضه بعضاً بتحية الإسلام، أما التحية الجديدة إما أن تكون بهز الرأس أو الاكتفاء برفع القبعة.

كما ألغى التدريس الدينى من المساجد تماماً، ذلك التدريس الذى كان واسع الانتشار فى تركيا وأصبحت مناهج التربية توجه التـرك – بزعمه – أن الثقافة الإسلامية فى مقدمة أسباب التأخير والجمود.

فضلاً عن إقصاء التقويم الهجرى الإسلامى واستعاضـوا عنـه بالتقويم الغربى المسيحى فى ١٩٢٥/١/٢٦م.

وجُعلت العطلة الأسبوعية يوم الأحد، ومنع عرض أى صـور تقليدية عن الكعبة المشرفة والمدينة المنورة كما منع بيعهـا وطبعهـا وترويجها وتداولها.

وكانت الطامة الكبرى كتابة التركية بالحروف اللاتينية. فبعد أن كانت تكتب باللغة العربية فكان من اليسير على التركى أن يقرأ القرآن لأن الحروف العربية والتركية واحدة، أما الآن فهى تكتـب باللاتينيـة ومن ثم انفصلت التركية عن اللغة العربية وقطع معبر الثقافة الإسلامية.

وبالجملة أصبحت تركيا لا صلة للدين بأمور الدولـة وأصـبح الشعب التركى مقطوعاً عن تاريخه، وثقافته وفكره، موثـوق الحبـال ومشدوداً بعجلة المجتمع الغربى الصليبى من كل الوجـوه، ليلـة رأس السنة الغربية أصبح يحتفى بها فى المدن الكبرى وكأنها عيد للمسلمين ، بالجملة فقد غشى المسلمين هناك ما غشيهم.

ورغم كل ألوان التغريب على مدى أكثر من سبعين عاماً فـإن الجمر الإسلامى لا يزال مشتعلاً فى تركيا، ويرى المراقبون المتفائلون أن كل ما يغطيه من الخارج هو مجرد رماد يتطاير مـع أول انفجـار لبالونة العلمانية المزهوة.

سادساً : المعونات طريق التغريب :

نعم كم من محنة جاءت فى منحة

يحذرنا عقلاء الأمة من الأخطار المحدقة الناتجة عن إغرائنا بالمعونات الأجنبية، فهى لا تقدم ابتغاء وجه ربك، ولكن لأوليات تهدف إلى التغريب أو الاختراق ، فالمنعم المتفضل منهم لابد أن يكون له مطالب أو غايات ستظل الهدف الأول له لتحقيق أحلامه، أقلها أنه يربط اقتصاد الدول التى مدت يديها إليه بعجلة اقتصاده، وبالتالى الترويج لنمط من الاستهلاك مختلف عن السائد فى الواقع الاجتماعى .

وباختصار يهيئ المناخ لإيجاد نموذج اجتماعى وحضارى مغاير يؤدى فى النهاية إلى تغيب قيم الرضا والقناعة والإيثار، ناهيك عن تهميش المقومات الأساسية للمجتمع المسلم بالذات، كالدين والأسرة بل واعتبارها من معوقات التنمية. وهكذا نجحت - مثلاً - الولايات المتحدة الأمريكية فى غزو عالمنا دون جيوش حتى تمكنت من وراثة نفوذ الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية فى أرجاء المعمورة [1] وذاع وشاع بين شبابنا استهلاك الخبز والهامبورجر وهو ما يكاد يشيع فى الأمة كلها.

فما هو طوق النجاة من طوفان التقمص؟.

والآن إذا كنا قد وقفنا على بعض مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب والأسباب التى دفعت لذلك، فما هى الأضرار التى نجمت عن ذلك التقليد، ذلك ما نضعه على بساط البحث فى الفصل التالى فإليه نصير.

---

(١) فهمى هويدى ، دفاع عن اليد العليا ، الأهرام ١٩٩٧/١/٢١م.